

أروع ما صدر حديثاً من قلم المؤلف :

خاتمة النبويين

لماحة الشيخ أبي الحسن على الحسن التدوى

أحدث كتاب في السيرة النبوة ، وأروع ما صدر أخيراً - لا آخرأ -
من قلم المؤلف في أسلوب سهل ، عذب ، رصين ، أسلوب العارف بمصادر
السيرة الأصلية ، البصير بطريقة عرض السيرة النبوة الطهاورة - من خلال
أحداثها ووفاتها - عرضاً سليماً كريماً تستجيب لها الفطرة البشرية ، ويستفيها
طبع السلام ، ويؤمن بها كل من يريد وجه الحق والصواب .

إن هذا الكتاب تجربة نفيسة جديدة سوف يعيشها - باذن الله - ابن
الجيل الجديد وهو مأخوذه ببعض السيرة وجلالها ، وكمالها واتزانها ، وروحها
وريحانها ، وسط جهنم الاتانية الطاغية أو الرهبة الصالة .

إنه لا يشرح محاسن السيرة وفضائلها بتفاصيل و إغراق و تأويل بل
يأخذ يد القارئ - في توجع وإشراق وآماتة ووفاء - إلى هذه الروحنة
الكريمة بشم رائحها ، ويعين ثمارها ، ويفاعل نفسه مع جمال الطبيعة
- جمال الطبيعة الحمدية - ببرهة من الزمن .

والكتاب إلى جانب عرضه لوقائع السيرة وسائر أحداثها كحفلة متراقبطة
تأخذ بعضها محجز بعض ، وكأحدى حصة رووت على مسامع البشرية في عمرها
الطويل ، يجمع ما تفرق في أهم مصادر السيرة الأولى من فوائد ، ونكات
عامة ، خالدة ، كيافلة زهر تجمع بين مختلف الزهور والورود .

إن كتاب « خاتمة النبین » هدية العلم الصحيح ، و الفطرة السليمة
و الدوحة الحكيمية إلى الشباب المصرى الحائر ، وإلى الباحثين عن الحق
و الحقيقة ، المتعطشين إلى نور الهدى و التوفيق في القرن العشرين .

يصدر قريباً جداً

طب الكتاب : من المكتبات الشهيرة في العالم الإسلامي

البعث الإسلامي

برقطان

شعارنا الوحد

إلى الإسلام من جديد

تصدر : في ندوة العلماء لاسكتنلن (الهند)

العدد الثامن

المجلد العشرون

ربيع الثاني ١٢٩٦

ابريل ١٩٧٦

البعث الإسلامي

رئيس التحرير : محمد الحسيني
مدير التحرير : سعيد العظمي

★ المجلد العشرون

★ العدد الثامن

الحارس الأمين ،

ندوة العلماء تربى أن تقف كالحارس الأمين على أبواب الحضارة الغربية (المسلحة بالعلم والاغراء في وقت واحد) فلا تسمح منها للجبل المسلم الجديد إلا بتلك العلوم البريئة والوسائل الحديثة التي لا تمس جوهر الدين بل تسانده و تقويه ، و تصلح لرسالته و شخصيته ، و تنفعه في دنياه و آخرته ، نسيمك مما في بطونه من بين فرش و دم لبنا خالصاً ساعغاً للشاربين ، ثم تمضي قدماً حاملة للأمانة ، معززة بالرسالة ، قائمة بالعهد ، فهل استرعت هذه المحاولة الجريئة ، و التجربة الفذة ، انتباه العالم الإسلامي ، و هل لفتت هذه المؤسسة الكبرى أنظار الشعوب و الحكومات ، حتى تواجه هذه التحديات بقوة أكبر ، وفي نطاق أوسع ، و مجال أفسح ، تكفي لمساحة واسعة كمساحة العالم الإسلامي و تؤهلها للتغلب على موجات عاتية متلاحقة متطرفة متغيرة ، ساحرة خلابة ، فاتنة مغربية ، عابثة ساخرة ، كموجات العالم الغربي ؟

المجلد العشرون

العدد الثامن

★ لابريل ١٩٧٦ م

★ ربيع الثاني ١٣٩٦ هـ

البعث الإسلامي

شهرية إسلامية، جامعة

محمد الحسيني

رئيس
التحرير

سعيد العظمي

مدير
التحرير

الاشترا
كات

المر
سالات

في الهند وباكستان عشرة روبيات - في النسخة الورقية
في العالم العربي ٤ جنيهان ونصف (استرليني) بالبريد العادي
٢٠٠٠ جنية (ستة جنيهات استرليني) بالبريد الجوي
في إفريقيا الجنوبية والشمالية ستة جنيهات (استرليني) بالبريد الجوي

العنوان : "البعث الإسلامي" دار العلوم لندوة العامة لكتبهن، الرائد
الهاتف : ٢٩٧٤٧ - ٢٣٩٤٨

برقيا : Nadwa Lucknow.

الاشتراكات في باكستان : ترسل إلى مجانية البلاغ
دار الصفوف، ساري رقم ٤، باكستان.

نَهْرُ الْعِدَادِ

عبد الحفيظ

عودة إلى مصر

عودة إلى مصر

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

لقد عادت مصر - أو كادت تعود - إلى سيرتها الأولى ، سيرتها الندية
الوضاءة ، فطاب لنا أن نعود إليها متفاتلين مستبشرين ، عودة من برح به
الشوق ، و طال به الليل ، و شق عليه الانتظار . . .
إنما في الهند لم نعرف مصر العزيزة ، (التي قرأتنا أناشيدها و نحن
أطفال صغار و حفظنا بعضها و لا نزال نذكر منها هذا البيت .

مصر العزيزة لي وطن و هي الجنة و هي السكن)
 بالأدب و الصحافة ، و بالكتب و المؤلفات ، و بأفواج المؤلفين
و الروايين و الكتاب ، و إن كانت علاقتنا بالحياة الأدبية و الاجتماعية في
في مصر - مصدر الثورات و منطلق الحركات و ملتقى التيارات - علاقة متينة
قوية هي علاقة العلم و الأدب ، و الروح و القلب معاً ، و علاقة المخاوف
و الآلام ، و الآمال و الأحلام أيضاً .

إنما عرفنا مصر - أصالة و عمقاً ، و حباً و تقديرأً - عن طريق
الإمام حسن البنا .

ذلك الرجل الخالص الذي أحب الله و رسوله ، ونذر حياته لاعلاء كلمة
الاسلام ، ورفع راية القرآن و الإيمان في أرض النيل ، حتى لقى ربه راضياً
مرضياً ينعم في جنة الخلود « في مقعد صدق عند مليك مقتدر » .

قد جاكم من الله نور و كتاب مبين ★

حكمة الله في خلاة الإنسان

حول سورة الناس

رحة الله تتمثل في كل شيء

التجربة الإسلامية ★

إلى منهج تربوي إسلامي أصيل

دراسات و أبحاث ★

جامعة دار العلوم ديواند الإسلامية

السيد مرتضى الزبيدي هندى

حول تعدد الزوجات

الدعوة الإسلامية ★

بن الدين و المدينة

السلوك بالاسلام حفاظاً

في رياض الشعر و الأدب ★

أي يعلم الكتاب والحكمة

السيدة مهر النساء

إعداد : قلم التحرير

رسائل من القلب

فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد الدومري

فضيلة الشيخ عبد العزيز العلي المطوع

الأستاذ الشهيد سيد قطب

معالي الدكتور محمد حسين الذهبي

فضيلة الشيخ معراج الحق

المحدث الكبير فضيلة الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي

الدكتور حسن سعيد السكري

فضيلة الشيخ مراج الحق

السيد مرتضى الزبيدي هندى

الدكتور حسن سعيد السكري

فضيلة الأستاذ السيد أبو الحسن علي الندوى

ساحة الشيخ عبد العزيز بن باز

ذاته و عاره ثم لا يقدر على هجره أو التبرئ منه ، و قد يعيش عالة عليه كالحشرات الطفبلية - التي عرفناها في مجتمع الحيوان والنبات - ومع ذلك فإنه لا يعب عليه - في علم النفس - لأنه عاش زمناً طويلاً في البرج العاجي ، أو « البرج السياسي » فأنى له الخلاص التام و التجدد الكامل عن تلك العلاقة و الوشائج و الصور التي خالطت لحمه و دمه .

كان هناك أناس فروا من الحرب العالمية وأصابهم ذعر نفسي شديد و عاشوا في الغابات أو المغارات ، وإذا قيل لهم إن الحرب انتهت ما صدقاً عليها ، كأنما كانت منه على موعد ، أو كانت معه على اتفاق .

و كان هناك طفل أخذه ذئب ، و تباه و عاش عنده زمناً غير يسير حتى إذا بلغ أشدته عشر عليه بعض الصيادين والرجال ، و حاول أن يستعيده إلى أهله و بلده فلم يرض إلا قسراً وإجباراً .

إنها نفسية كل إنسان عاش بين أشخاص معينين ، وبين نظريات خاصة ، ولم ير في هذه السنوات الطوال إلا صورة واحدة و لم يسمع إلا صوتاً واحداً .

إنها نفسية كل من يريد هذه النقلة البعيدة في عالم الأفكار والاتجاهات والميول .

و إنها طبيعة كل تصحيح و تطهير ، و كل عزل و نصب ، وكل تداخل بين فصلين أو بين فكريتين .

و لا شأن لنا بذلك إلا أن ننتظر عامل الوقت و نسأل الله الرشد و السداد و الخير .

ذلك الرجل الذي أحب الله و رسوله ، فأحبته مصر ، و وهبته مرجتها وروحها ، وسلمته زمام أمرها ، ورضيت به قائداً و مرشداً وإماماً و مربياً فلم تفتقض عهدها ، و لم تخلف وعدها ، و ظهر تفسير هذه الآية .

« إن الذين آمنوا و عملوا الصالحات س يجعل لهم الرحمن و دأ فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين و تنذر به قوماً لداء » (مرثيم) .

لقد تفتحت مصر كالبرعم الناعم حين وجدت من يرعاها ويسقيها ، ويحذب عليها ، كأنما كانت منه على موعد ، أو كانت معه على اتفاق .

و كان أمر الله قدرآً مقدورآً ،

هذا التفتح الجديد ، أوحى إلينا أخيراً بهذه السطور ، و دفعنا على تسجيل بعض الحقائق التي ينبغي دراستها و التأمل فيها ، و استحضارها بقلوب واعية و عيون فاحصة و عقول مدركة .

القطة الأولى : أن مصر الآن في فترة انتقال ، و هي أدق فترة في تاريخ الأفراد والجماعات و الشعوب ، هي مرحلة انتقال من فصل إلى فصل ، و موسم إلى موسم ، و طقس إلى طقس ، أو في تعبير آخر مرحلة انتقال من دعوة إلى دعوة ، و اتجاه إلى اتجاه ، ومنهج إلى منهج ، و ذوق إلى ذوق ، و هدف إلى هدف ، و ذلك شيء طبيعي و مطرد في حياة الشعوب لأنهم على أبداً .

و من نفسية هذا التحول ، أن صاحبه قد لا يؤمن به ، في أول الحال وببداية الأمر ، كالرضيع الذي يشق عليه الطعام ، فيلتصق - أو يحاول ذلك عثاً -

بنظرياته و تفاليده التي تعود عليها و الأشخاص الذين آلفهم ، و عاش فيهم ، سواء هابهم أو أحبهم ، فقد ترى الإنسان يبغض إنساناً و يهابه ، و يرى فيه

ربيع الثاني ١٣٩٦هـ

و الاتصال الوثيق بالشباب المثقف و الجماهير في المدينة و الريف على صعيد الدعوة و التربية و التوجيه و البناء الخلقى و المعنوى .

إن مصر قنطرة تنقل بصناعة الأفكار من الغرب إلى الشرق وبالعكس ، هي نقطة الالتقاء و الرقابة للعالم العربي ، فاذا عرفت نفسها ، و موقعها واكتشفت مواهبها — وقد اكتشفت بعضها فعلاً في حرب رمضان — قامت في موقف القائد الرائد و الحارس الأمين ، موقف القيادة ، و الأصالة ، و النبوغ و العصامية ، و الرشد و الهدایة التي أفلس فيها المعسكران ، الغربي و الشرقي ، و أسعدت الإنسانية و أغاثتها في أشد لحظاتها و أقصى ساعاتها ، ساعة الاحتضار أو الاتحار .

إن مصر أضاعت فرصة ثمينة من العمر ، و فترة هامة من الزمن في هدم فلثيله بناءً جديداً ، على أساس مبتكرة جديدة ، و بأيدي طاهرة نظيفة و قلوب رسمت فيها الإيمان ، و عقول أذعنـت للحق ، وأرواح طيبة استجابت للهـدى . . وهي متوفرة في مصر ، لا يحتاج إلا إلى اكتشافـها و العثورـ عليها .

إن شراء الأسلحة ، و التردد بين شعارات و شارات ، و معسكـرات و مخيمـات ، حتى إن إنشـاءـ البنـوكـ و المصـانـعـ و الشـركـاتـ و إقـامـةـ الصـنـاعـاتـ أيضاً لا تـفعـ هذهـ الـأـمـةـ (ـالـىـ اـبـعـثـهـ اللـهـ لـهـدـيـةـ بـنـىـ آـدـمـ إـلـىـ الـحـقـ الـمـبـيـنـ وـ الـصـرـاطـ الـمـسـتـقـيمـ)ـ لاـ إـذـاـ كـانـ وـرـاءـ هـذـهـ الـجـهـودـ وـ الـمـشـارـيعـ أـوـ الـعـملـ الـاسـلامـيـ وـ الـدـبـلـومـاسـيـ رـصـيدـ ضـخمـ منـ الـعـقـيـدةـ الصـافـيـةـ ، وـ الـإـيمـانـ الـقوـيـ الـعـاطـفةـ الـجيـاشـةـ ، وـ كـانـ وـرـاءـ ذـلـكـ رـصـيدـ ضـخمـ منـ الـاخـلاـصـ اللـهـ ، وـ الـثـقـةـ بالـفـسـ ، وـ الـاعـتـزـازـ بـالـرسـالـةـ ، وـ مـقـتـ الـجـاهـلـيـةـ بـجـمـيعـ أـنـوـاعـهـ ، وـ الشـعـورـ بـالـأـمـانـةـ الـثـقـيـلةـ ، وـ التـفـكـيرـ الـهـادـيـ السـلـيمـ وـ التـعـودـ عـلـىـ حـيـاةـ الـجـدـ وـ الـصـرـامـةـ ،

القطـةـ الثـانـيـةـ : وـهـيـ أـهـمـ القـاطـاتـ كـلـهاـ ، هـيـ أـنـ يـقـومـ الدـعـاـةـ فـيـ هـذـهـ الفـتـرـةـ العـابـرـةـ بـوـاجـبـ تـذـكـيرـ الـأـمـةـ وـ نـصـحـهـ بـالـحـكـمـ وـ الـمـوعـظـةـ الـحـسـنـةـ ، وـ يـغـرـسـواـ فـيـهـ مـعـانـىـ الـحـبـ فـيـ اللـهـ وـ الـبـغـضـ فـيـ اللـهـ وـ إـجـرـاءـ شـرـيـعـةـ السـيـامـ ، وـ إـحـيـاءـ سـنـةـ رـسـولـ اللـهـ عـلـيـهـ سـلـيـلـهـ فـيـ الـحـيـاةـ الـشـخـصـيـةـ وـ الـاجـتمـاعـيـةـ وـ الـسـيـاسـيـةـ ، فـيـ القـوـلـ وـ الـعـمـلـ ، وـ الـأـخـلـاقـ وـ الـسـلـوكـ ، وـ الـكـفـاحـ وـ الـجـهـادـ . . وـ مـحـارـبـةـ دـوـاعـيـ الـمـكـرـ وـ الـرـذـيلـ وـ الـفـحـشـاءـ فـيـ الـجـمـعـ هـيـ تـهـيـأـ الـنـفـوسـ لـقـبـولـ الصـالـحـ الـمـحـسنـ ، وـ إـسـاغـةـ الـحـقـ . . وـ مـاـ دـامـتـ الـحـرـيـةـ مـتـوفـرـةـ — وـ هـيـ مـنـ كـبـرىـ مـعـطـيـاتـ الرـئـيسـ الـجـدـيدـ أـنـورـ السـادـاتـ — فـلـاـ مـبـرـرـ لـلـاحـجـامـ أـوـ الـقـعـودـ ، فـغـرـسـ الرـئـيسـ الـجـدـيدـ أـنـورـ السـادـاتـ — فـلـاـ مـبـرـرـ لـلـاحـجـامـ أـوـ الـقـعـودـ ، فـغـرـسـ الـفـكـرـ الـمـؤـمنـةـ وـ بـثـ الـدـعـوـةـ الـإـسـلـامـيـةـ ، وـ تـوـجـيهـ شـبـابـاـ إـلـىـ اـكـتـشـافـ نـفـسـهـ وـ ذـخـائـرـهـ الـكـامـنـةـ فـيـ صـدـرـهـ بـعـدـ حـرـبـ رـمـضـانـ ، وـ حـشـهـ عـلـىـ أـنـ يـخـرـجـ مـنـ رـكـامـ (ـالـمـاضـيـ)ـ ، وـ أـنـقـاصـهـ رـافـعـ الرـأسـ ، قـوـىـ الـإـيمـانـ ، مـوـفـورـ الـكـرـامـةـ ، لـيـسـ عـلـاـ مـشـبـوهـاـ ، أـوـ نـشـاطـاـ سـرـياـ يـخـافـ مـنـ الـحـكـمـ الـقـائمـ بـلـ إـنـ يـرـحبـ بـهـ — كـمـ اـعـتـقـدـ لـمـ يـرـىـ فـيـهـ فـانـدـةـ الـبـلـادـ وـ أـمـنـهاـ وـ زـهـرـهـاـ دـيـنـاـ وـ دـنـيـاـ .

وـ لـوـ أـهـلـ الـقـرـىـ آـمـنـواـ وـ اـتـقـواـ لـفـتـحـنـاـ عـلـيـهـمـ بـرـكـاتـ مـنـ السـيـامـ وـ الـأـرـضـ ، (ـالـأـعـرـافـ)ـ .

وـ لـوـ أـنـهـمـ أـقـامـواـ الـتـورـاـةـ وـ الـأـنـجـيلـ وـ مـاـ أـنـزـلـ إـلـيـهـمـ مـنـ رـبـهـ لـأـكـلـوـاـ مـنـ فـوـقـهـ وـ مـنـ تـحـتـ أـرـجـامـ ،

أـنـحـمـ الـجـاهـلـيـةـ يـبـغـونـ وـ مـنـ أـحـسـنـ مـنـ اللـهـ حـكـمـاـ لـقـوـمـ يـوـقـنـونـ ، (ـالـمـائـدـةـ)

إـنـ هـذـهـ الفـتـرـةـ الـدـقـيقـةـ الـحـرـجـةـ ، لـاـ يـصـلـحـ فـيـهـ إـنـشـاءـ حـزـبـ بـمـثـلـ مـاـ يـصـلـحـ فـيـهـ نـقـلـ هـذـهـ الـفـكـرـةـ مـنـ رـأـسـ إـلـىـ رـأـسـ ، وـ نـقـلـ هـذـهـ الـشـرـارـةـ مـنـ صـدـرـ إـلـىـ صـدـرـ ، وـ نـقـلـ هـذـهـ الـعـاطـفـةـ الـإـيمـانـيـةـ مـنـ قـلـبـ إـلـىـ قـلـبـ ، وـ تـنـشـيـطـ حـرـكـةـ النـشـرـ وـ التـوزـيعـ

و العزم و التصميم ، و التقليل من الترفية الزائد واللهو و العبث والاستهانة
و المجنون .

وباختصار : الرجوع إلى التواصي بالحق و التواصي بالصبر .

إن النظريات الدخيلة الوافدة مثل الماركسية التي يتطرق بها بعض ضعاف
النفوس أو الذين في قلوبهم مرض كالحيوانات الطفالية و يريدون أن يشرعوا
تلك العاهة بشمن باهظ ، نظرية لا قرار لها ، ومثل كلمة خلية كشجرة خبيثة
اجتلت من فوق الأرض ما لها من قرار .

و حينما تخر سفينة الاسلام عباب النيل تزول هذه النظريات الوافدة
الدخيلة بنفسها كالفقاقع .

المهم أن تعود مصر إلى دعوتها إلى رسالتها ، إلى باعث مجدها و مصدر
عزها الاسلام ، فحينما تطلع شمس الاسلام مرة أخرى في مصر ، وتخرج من
كسوفها الذي دام سنوات ، وها قد بدت تباشيرها في الأفق تهرب الخفافيش
كلها لأنها بطبيعتها لا تقدر على مواجهة النور .

« إن الحسنات يذهبن السينات ، ذلك ذكرى للذاكرين . و اصبر فإن
الله لا يضيع أجر المحسنين » (سورة هود) .

محمد الحسني



من الخلق غيرهم ليس له سند إلا من أساطير الوفين وخرافاتهم التي لا يجوز الالتفات إليها خصوصاً و سياق واضح في اختياربني آدم خليفة .

و هذه الآية الكريمة أتى بها الله سبحانه بعد الآية التي قبلها إلى فيها استنكاره لکفر بني آدم مع إنعامه عليهم بخلق جميع ما في الأرض لهم مالكين جمیع ما فيها من كل دابة ومادة على وجهها أو في جوفها أو أجوانها فيها عقبها سبحانه بهذه الآية مقرراً أن ما في الأرض لهم ليس مجرد الأنعام عليهم به ، و لكن اسيادهم على ما في الأرض جمیعاً و من هم قيمة أعلى و أغلى من قيم الماديات المذكورة ، و هي التكريم بالاستخلاف زيادة على نعمة الملك والانتفاع ، ليغرس في قلوبهم عنصر الإيمان الأصيل في الوجود من لدن أربعم آدم عليه السلام .

فالقرآن يوضح لامة محمد ﷺ موكب الوجود الأول متهدتاً بادىء ذى بدء عن الأرض فى معرض الامتنان باللأنه على بنى آدم فيقرر أنه خلق لهم ماف الأرض جھيماً ثم يذكرهم بتكريره لهم بالاستخلاف فى الأرض ومنهم مقاليدھا على عهد منه و شرط عظيمين هما اتباع وحیه و تحکیم شریعته ، قال سبحانه « فاما يأتینکم مني هدى فن تبع هدای فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » كا سیاق تفسیره إن شاء الله ، مع العلم أن تذکیرنا بهذه المكرمة العظمى جاءت تمیداً للحادیث عن استخلاف بنی إسرائیل بعد منه وعزمهم عن الخلافة بعد نقضهم العهد و إفسادهم في الأرض و تسليم مقاليد القيادة للإمام الحمدية بيعشه محمد ﷺ .

وَمَا يُنْبَغِي مَعْرِفَتُهُ أَنْ مَنْ نَفَضَ عَهْدَ اللَّهِ بَنِيهِ وَجْهَهُ وَعَزَلَ شَرِيعَتَهُ عَنِ الْحُكْمِ لَا يُسْتَحْقِقُ شَيْئاً مَا فِي الْأَرْضِ فَضْلًا عَنِ الْإِسْتَخْلَافِ وَإِنَّمَا يُحِبُّ قَاتَلَهُ

حکمة الله في خلافة الانسان

فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسري

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْأَنْكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا
مِنْ يَفْسَدُ فِيهَا وَيُسْفِكُ الدَّمَاءَ، وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنَقْدِسُ لَكَ، قَالَ
إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ،

هذه الآية الكريمة من جملة معجزات القرآن و النبوة المحمدية إذ يخبر الله نبيه ﷺ بما لا يعلمه ولا يعرفه قبل إنزال هذا الوحي عليه وهي مما يؤيد أن القرآن لا ريب فيه ، وإن الذى يدعوا الناس إليه من التوحيد ليس بدعا و ليس خاصاً بمعاصرينا وإن الله ملائكة قائمين بواجباتهم نحو الله ويسبحون الليل و النهار لا يغترون و أن الله جلت حكمته اختار بنى آدم أن يكونوا له خليفة في الأرض و جرى الحوار بينه و بين الملائكة في ذلك قائلين «أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء» و هل هذا السؤال منهم ناشئ عن قياس على خلق سكنوا الأرض قبل بنى آدم فأفسدوا فأهلكوا ؟ أو أنهم علموا أن الله يودع في فطرة بنى آدم إرادة مطلقة غير محدودة ، أو عملاً غير محظوظ بالصالح فيفسدوا و يسفكون الدماء ؟

هذا الأمر لا يملك الجزم عليهما ، ولكن يترجح الظن من مدلول السياق الأمر الثاني الذي هو ظن الملائكة بحال البشر لأن القول بوجود نوع

ثالثتها : تشريف الله للجنس البشري على جميع المخلوقات بهذه الخلافة و تحميته تلك الامامة التي أشفقت منها السماوات والأرض والجبال وأين أن يحملها ، فمن صدق مع الله في حملها كان أفضل من الملائكة وأعظم حرمة عند الله من السماه التي حرسها بالنجوم والشهب من الشياطين ، ومن لم يتحملها كان من شر البرية و شر الدواب ، و كان أصل من الأنعام ، كما وصفه الله بذلك و كان حظه الخيبة (وقد خاب من دساه) .

رابعها : اقتصت حكمة الله البالغة بتصوير خليفته في أشرف صورة وأحسن تقويم فلم يجعله يمشي على أربع ولا يمشي مكبأ على وجهه كالفرد و الحيوان ولم يجعل له ذيلا كذيل الحيوان و لا على ظهره صوفاً كصوفه و لا آذاناً متداة كآذان الحيوان بل خلقه و صوره في أكمل صورة و أحسن تقويم لائق بمعنى الخلافة ، وفي هذا رد قوى دافع لنظرية (دارون) صاحب النشوء و الارتفاع التي أولع بدراساتها و تدريسها المهزمون هزيمة عقلية دون نظر إلى الحقيقة التي تبطلها .

ذلك أن النشوء و الارتفاع يقع في الهيكل لا في الصوره و يقع في الأخلاق و المعلومات ، أما الصورة فكل مخلوق لله في البر والبحر من إنسان أو حيوان هو باق على صورته الأصلية لم تتحول صورته ، فالإنسان إنسان كما خلقه الله في أحسن تقويم وأبهى بغير كما كان منذ خلقه الله ، والذباب ذباب منذ خلقه ، والفيل فيل و سائر أنواع الطيور و الحيوانات كل منها على صورته الأصلية لم تتحول و لم تختلف صورته حسب هذا المذهب الذي أزلقوا فيه إلى مجاوزة حد العقل و الحس .

و قد عارض هذه النظرية خلق كثير لخالقها العقل و الحس الواقع ،

و انتزاع ما في يده من جميع الماديات لأنها ملك للأوفياء بعهد الله و أماته من أي جنس أو عنصر كانوا .

إن هذه الآية السكرية و ما بعدها من الآيات التسع التي هذه عاشرتها توضح لنا مبدأ التكوين الانساني و الغاية منه و تصور لنا واقع الخططيتين و شؤومهما ثم ما لهما من نتائج ، و فيها عبر كثيرة .

إحداها : إن الله جلت حكمته اختار بني آدم أن يكونوا له خليفة في الأرض ، وال الخليفة بالنسبة إلى الله ليس كال الخليفة بالنسبة إلى الإنسان إلا بما يقتضيه الواجب على الخليفة و إلا فليس الخليفة لله بمعنى الوارث ك الخليفة للإنسان بعد موته ، لأن الله هو الذي يرث الأرض ومن عليها وإنما الخليفة لله في أرضه هو المكلف بأحكام يطبقها على نفسه و ينفذها على غيره ، كما قال نظام التفسير : خليفة منذا أحکاماً وهي آدم أو الحكم و قبل خلق يخالفون خلقاً في الدين سقاً للكفور سقاً

ثانية : ما حكم الخليفة ؟ ما واجب الخليفة ؟ ما الذي يترتب على تقصير الخليفة في أمر الله أو حياته لعمود الله ؟ خلاف الله من بني آدم ملزمون بحمد الله و شكره شكرآ عملياً و بمحبته ، و ذكره ذكرآ قليلاً و باتباع وحشه و متابعة رسوله عملياً و عملاً و تحكيم شريعته و إقامة حدوده و الوقوف عند أمره و نهيه في كل شيء فلن رفض هذا وأعرض عنه كان خائناً مستحقاً عقوبات الله الشرعية و القدرية في الدنيا قبل الآخرة (ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) و من فرط في بعضها لغلبة شهوته كان متلبساً بالخيانة و التقصير بحسب ذلك ، و من فعل البعض و ترك البعض لشبهات في قلبه و لا يشار الماداة على الدين كان مؤمناً ببعض وكافراً ببعض يعامله الله معاملة الكافر بالجميع .

مستقبلاً كقوله تعالى : « إذا جاء نصر الله ، أى يجيء - و التقدير في هذه الآية - وابتداء خلقكم إذ قال ربكم للملائكة) فهذا محنوف دل عليه الكلام . السادسة : الملائكة أجسام نورانية خلقها الله من نور و وكل إلى بعضها مهام عظيمة وأقدرها على التشكيل بغير هيئتها الأصلية ، والإيمان بهم واجب ومن أصول الدين ، لأن منهم السفراء بين الله وبين رسليه و منهم الم وكل بالسحاب وبقبض الأرواح و تسجيل الأعمال إلى غير ذلك ، ولم يتعدنا الله بمعرفة أجسامهم وأشكالهم ، فالبحث فيها لا يجدى نفعاً وهم من العالم المستور عن كالجن و من لم يؤمن بهم فهو كافر لأن من كفر ببعض وحي الله ، فقد كفر به جميعه ، والوحي المبارك أثبت هذا ، وقد أتى جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي و رأه في السماء على خلقته الأصلية ، وقالت النصاري إن الملائكة هى أرواح الخير و الشياطين هى أرواح الشر ، و من هذه العقيدة شاع عند الغربين فكرة تحضير الأرواح و هي في الحقيقة تحضير الجن المسمى عندنا بعلم التعزيم ، و للفلاسفة و غيرهم أقوال أخرى لساناً بتصديدها ، والحاصل أنه يجب الإيمان بهم ، كما وصفهم الله بأنهم الصافوت و المسجونون و بأنهم الزاجرات زجرآ ، و النازعات غرقآ ، والمدبرات أمرآ ، والساحرات سبحا ، و الناشطات نشطا ، و السابقات سبقآ ، والملقيات أمرآ ، عذرآ أو نذرآ ، و بأن منهم الراكم و الساجد و المسبحين الليل و النهار لا يفترون .

السابعة : عبرتنا من هذه القصة أن الله خلق الإنسان مزوداً بقدرات العقل و الإدراك ليس على ما يزعمه طاغية علم النشوء و الارتفاع (دارون) وإن الله سبحانه جعله مستعداً للعلم و الارتفاع بما خلق الله في السكون ليكون خليفة

وياسحان الله كيف يختار الله خليفة في الأرض من هم على وصف (دارون) أخوه القردة والخنازير لأنه يهودي ؟ وكيف يسجد الله الملائكة لمن هم على هذه الشاكلة أشباه القردة ؟ وكيف يخلق الله آدم بيده و ينفح فيه من روحه و يسكنه جنته و هو على هذه الحال الذي وصفها دارون اليهودي ؟ بل كيف يعاقب الله أجداده بني إسرائيل من أصحاب السبت بمسخهم قردة إذا كان أصلهم قردة ؟ لا يكون فعله بهم عقوبة و لا مسخاً بل يكون إرجاعاً لخلقهم الأولى .

و العجب أن عمدته و اتباعه العثور على رفات أموات بهذه الصورة فلعلهم قردة أصليون أو مسوخون ، لأن المسوخ و إن كان لا يعيش فإنه تبقى آثاره بعد الموت ، و حيث إن مثل هذا التفسير لا يتحمل الاطالة بالردود على أمثل ذلك نحيل القارئ و السامع إلى رد قويم جداً يسعني الرجوع إليه و الاستفادة منه فار في العجب العجاب ، و هو كتاب (الإسلام و نظرية دارون) .

وإذا كان قد صح عن رسول الله عليه السلام أنه قال خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً في السماء فما زال الخلق ينقص بعده حتى الآن) فهذا منافقون و معاكس لتلك النظرية اليهودية فمن قبلها ورفض و حى الله ماذا يبقى عنده من الله والإسلام .

الخامسة : في إذا و إذا - هنا للتوقيت في الماضي والمستقبل وقد توضع إحداهما موضع الأخرى قال المبرد إذا جات (إذا) مع مستقبل كان معناه ماضياً كقوله تعالى : « و إذا يذكر » و قوله : « و إذا تقول » ليكون معناه (إذا مكروا - و إذا قلت) و إذا جات (إذا) مع الماضي كان معناه

الثانية عشرة : قال القرطبي : هذه الآية أصل في نصب إمام و خليفة يسمع له و يطاع فتجمع به الكلمة و تنفذ به أحكام الخليفة و لا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة إلا ما روى عن الأصم حيث كان عن الشريعة أصم - وقد بسط القول فيه و أبان جواز انعقاد الامامة بباباية عدد و لو قليل من أهل الخلق و العقد و لو رجلا واحداً واستشهد بما يكفي و يشفي و أوضح الحق في جواز نصب المفضول مع وجود الفاضل و سكع أقوال المبتدعة الغاضبين على خلافة ما لا يريدونه بأهواهم قائلة إن استدلو بأحاديث موضوعه أو أخبار صحيحة فيها الاشارة إلى خلافة غير أبي بكر فإنه توجد عندنا أحاديث صحيحة و حسنة تنص بعضها و تشير بعضها إلى خلافة أبي بكر و عمر ، و ذلك بعد النقل و النقاش و ذكر أحكام الامام و وجوب الصبر عليه وعدم خلعه إلا بکفر بواح فيه من الله سلطان ، كما وردت الأحاديث الصحيحة ذلك فليراجع هذا البحث القويم في الجزء الأول من تفسير القرطبي من صحيفتي ٢٤٤ إلى ٢٧٤ فإنه مفيد و نفيس و لو لا الاطالة الزائدة لتقنوه فكتقى بالإشارة .

الثالثة عشرة : هذا الإنسان الذي جعله الله خليفة في الأرض عليه أن يرعى خلافة الله حق رعيتها و أن يعتبر نفسه جندياً لله منفذأً أوامر الله مسارعاً في مرضاته مجتنباً مساخطه غوراً على حرماته متوكلاً عليه توكلاصححاً لا شائبة فيه حتى لا يكون من الكافرين لنعمته بمخالفته له .

الرابعة عشرة : الإنسان الذي جعله الله في هذه الأرض خليفة و سخر له ما في السموات و ما في الأرض جميعاً منه و خلق له ما في الأرض جميعاً و أذن له بالاستمتاع بخيراتها و تسخير كنوزها و استثارها لا يجوز له البخل

في الأرض يعمرها و ينميها و يكون بعمله مظراً واضحاً لرحمة الله بعباده و ليحقق فيه روح المكافحة جعله الله مستعداً أيضاً للتأثير بدعائية الخير و الشر و أوضح له حسن العاقبة بالتأثير بداعية الخير و سوء العاقبة بضده و أمده بروح منه و ذلك وحده المبارك الحبي لقبه و الحافظ له من غزو الشيطان و شروره و من هنا أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعرف بنى الإنسان بغرائز نفوسهم و يمحضها من شرها بهذه .

الثامنة : إن الله سبحانه يرضى من عباده أن يسألوه عن حكمته في خلقه و ما يخفي عليهم من أسراره سواء كان السؤال بلسان الحال أو المقال و لهذا قالت الملائكة له « أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء »

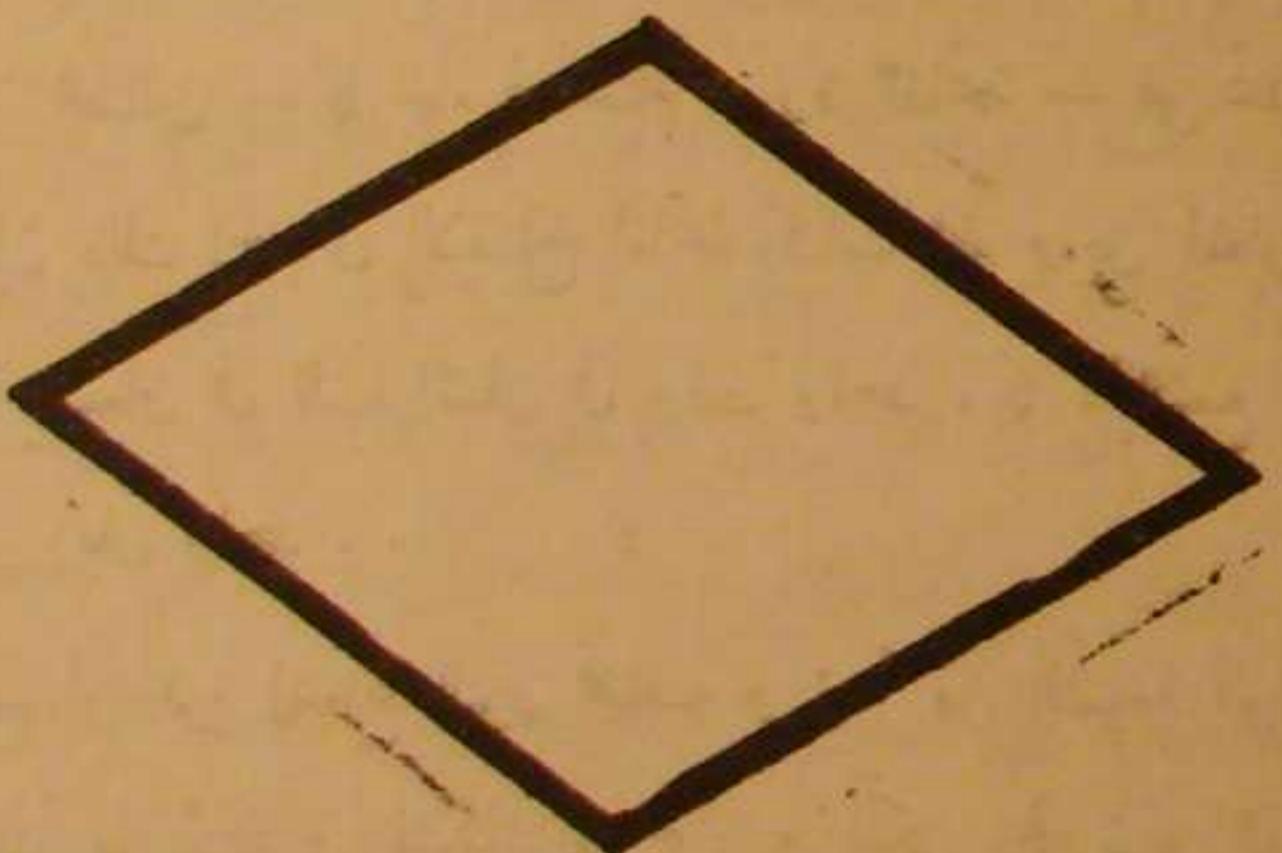
النinth : إن الله هدى الملائكة في حيرتهم و أجابهم عن سؤالهم باقامة الدليل لهم على تعليم آدم ماجزوا عن معرفته و ذلك بعد الارشاد إلى الخضوع و التسليم بقوله : « إني أعلم ما لا تعلمون » .

العاشرة : إنه إذا كان من أسرار الله و حكمه ما يخفي على الملائكة فحين أولى بالجمل منهم بذلك فلا مطعم للإنسان بمعرفة جميع أسرار الخليقة و حكمها لأن الله لم يؤته من العلم إلا قليلاً .

الحادية عشرة : تسلية النبي ﷺ عن تكذيب الناس و محاجتهم في النبوة بغير برهان لأنه إذا كان الملاطف الأعلى قد طلبوها البيان من الله فيما لا يعلمون فأجدر بالناس أن يطلبوا و أجدر بالأنبياء أن يعاملوهم كعامل الله الملائكة المقربين ، والله سبحانه أيده مع هذا بآيات يبنات تقطع الأغاليط و تكشف الشبهات من كل شيء يثبت لهم أنه ليس من عند محمد ﷺ و ليس يعلم به لولا هذا الوحي .

و تبرته من السوء ، و قوله (بحمدك) أى نخاطل التسبيح بالحمد و يسمى رفع الصوت بالذكر تسبيح أيضاً .

و قال بعضهم إن التسبيح هو الصلاة لقوله تعالى : « فلولا أن كان من المسبحين » يعني المصليين و لا تعارض بين القولين في الحقيقة لأن الصلاة محتوية على جميع معانٍ التسبيح والتقدس ومشتملة على تمام الخضوع والتعظيم و كان عليه الصلاة و السلام يقول في رکوعه و سجوده (سبوج قدوس رب الملائكة و الروح) كما أخرجه الإمام مسلم عن عائشة ، و قوله : (ونقدس لك) أى نعظّمك و نمجّدك و نظهر ذكرك عما لا يليق بك و كان في كلام الملائكة إشارة إلى الاكتفاء بهم عن سواهم و عدم اشغال الأرض بما يغضبه من الافساد فيها ، و لكن الله أجاهم ، بقوله : « إِنَّ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ » و قد علم الله أن فيمن يستخلفه في الأرض أنبياء وأولئك و فضلاء أفضل من كل خلق فهو عليم بما كان و ما يكون و بما هو كائن سبحانه و تعالى .



و التغیر على نفسه أو على أهله و ذويه بل لا يجوز البخل ببذل فضول الأموال خشية الفقر فأن هذا من طاعة الشيطان وسوء الظن بالله قال سبحانه و تعالى : « الشيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء » و قد تهلك وجه النبي عليهما السلام لما قال له بعض الانصار في قضية عطية (أتفق و لا تخش من ذي العرش أقلالاً) و تبسم ، وقال : (بهذا أمرت) .

قال المحققون بقوف الأقلال من سوء الظن بالله لأن الله خلق الأرض بما فيها لبني آدم و جعل جميع الأشياء مسخرة لهم و تعهد برزقهم و اختلاف ما انفقوه كما قال تعالى « الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده و يقدر له ما أنفق من شئ فهو يخلفه و هو خير الرازقين » و روى مسلم في صحيحه عن أميمة بنت أبي بكر قالت : قال لي رسول الله عليهما السلام : أتفحى أو أنضحي أو أنفق و لا تخصي فيحصي الله عليك و لا توعى فيوعى عليك) والنصوص في هذا كثيرة مستفيضة لا نطيل بها المقام ومنها تعلم أيضاً أن المطالبين بتحديد النسل خشية ضيق المعيشة من كثرة السكان هم في الحقيقة رجعيون تماماً قد رجعوا إلى العقليات الجاهلية المسيئة الظن بالله بل الكافرة تماماً بالله و بوعده الحق .

و قوله سبحانه و تعالى عن الملائكة « و نحن نسبح بحمدك و نقدس لك » أى نحن نزهك عما لا يليق بك و اختلف العلماء في تسبيحهم هل هو نفس التسبيح بالكلام أو بالصلاه ، فقال بعضهم لمنهم يسبحونه بالسنتهم ليل ونهاراً لا يفترون ، استشهاداً منهم بالآية (٢٠) من سورة الأنبياء و التسبيح مشتق من السبح بفتح الباء الموحدة و هو الجرى و الذهاب و منه قوله تعالى محمد عليهما السلام : « إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا » فال المسيح جار في تهزيه الله

النور محل الظلمات و يذهب الباطل أمام قوة الحق و هذه سنن كونية لا تبدل لها و لا تحول عنها ، قال سبحانه : « و قل جاء الحق و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » (الآية ٨١ من سورة الاسراء) و قال سبحانه أيضاً : « و هو الذي جعل الليل و النهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً » (الفرقان ٦٢) .

برب الناس : رب الناس هو رب العالمين الرحمن الرحيم كما جاء في سورة الفاتحة . ملك الناس : هو ملك يوم الدين كما ورد في سورة الفاتحة أيضاً و كلمة ملك بالنسبة لله غالباً ما تأتي في كتاب الله مقرورة يوم الدين . اليوم الذي لا ملك ولا مالك فيه غيره سبحانه مصداقاً لقوله جل شأنه : « وما أدرك ما يوم الدين ، ثم ما أدرك ما يوم الدين ، يوم لا تملك نفس شيئاً و الأمر يومئذ لله » (الآيات ١٧ ، ١٨ ، ١٩ من سورة الانفطار) و قوله سبحانه : « الملك يومئذ لله يحكم بينهم » (الآية ٥٦ من سورة الحج) و قوله سبحانه : قوله الحق و له الملك يوم ينفح في الصور » (الآية ٧٣ من سورة الأنعام) و قوله سبحانه : « الملك يومئذ الحق للرحمن ، و كان يوماً على الكافرين عسيراً » (الآية ٢٦ من سورة الفرقان) و قوله سبحانه ، « لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ » (الآية ١٦ من سورة غافر) و في الآخر عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله عليه السلام : « يطوى الله السماوات يوم القيمة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول : أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوى الأرضين ثم يأخذهن قال ابن العلاء ، و هو محمد أبو كريب : بيده الأخرى » و كذا بيده يمين « ثم يقول : أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟

في رحاب القرآن الكريم :

حول سورة الناس

فضيلة الشيخ عبد العزيز العلي المطوع

(١١٤) سورة الناس مكية و آياتها ٦ نزلت بعد الفلق .

بسم الله الرحمن الرحيم

قل أَعُوذ بِرَبِّ النَّاسِ هُوَ مَلِكُ النَّاسِ هُوَ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ
الْخَنَّاسِ هُوَ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ هُوَ مِنْ جَهَنَّمْ وَالنَّاسُ هُوَ

قل أَعُوذ : الاستعاذه في بدء سورة الناس من الوسواس الخناس الذي يosoس في صدور الناس من الجنة و الناس ، هي تخليه و طلب الهداية من رب العالمين الرحمن الرحيم إلى الصراط المستقيم و الطريق القويم . صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين والشهداء والصالحين غير المغضوب عليهم و لا الضالين - كما جاء في ختام سورة الفاتحة - هي تخليه و جب الحمد عليها ، فكان ذلك الحمد في الافتتاح لفاتحة كتاب الله و من المعلوم أن الضلال والمدى لا يجتمعان في قلب إنسان في وقت واحد ، كما لا يجتمع النور والظلم في مكان و زمان واحد ..

صحيح أن قوة إشعاع النور تختلف و تبدأ من الشمعة الواحدة ، و أن الإنسان غالباً ما يتعدد و يتشكل و يختار و لكن الحيرة و التردد والتشكك لا تلبث أن تزول و يجعل محلها إيمان سليم يهدى إلى صراط مستقيم ، كما يحل

و لعل في تكرار ذكر الناس ما يفيد أنهم مركز الشغل ، و بيت القصيدة مصدق قوله سبحانه : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ، إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين ، و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » (الآيات ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ من سورة الأنبياء) .

الوسواس الخناس و الجنة و الناس : الظاهر أن كل صار سواء أكان من الناس أم من الجنة فهو شيطان يستعاذ من شره وكل ما جن عن العين فهو من الجنة و الخناس هو الذي يخنس أي ينكش و يتضليل و يقتصر عن ذكر الرحمن و هم مرددة الجنة ، كما قال الله سبحانه في موضع آخر من كتابه الكريم : « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون » (الآية ٢٠١ من سورة الأعراف) إن شياطين الجن تمثل الظلم الذى لا يجدى في إزالته مهانة ، أو تجهم عليه ، أو لعنة توجه إليه ، ولكن شمعة واحدة تزيل جانباً من الظلم بقدر قوتها إشعاعها و على قدر امتداد الإشعاع يكون انحسار الظلم .

إن شيطان الجن يخنس و يقتصر و يتلاشى (عند ذكر الرحمن) ثم ينبعث و يكبر كلما غفل الإنسان عن ذكر الله مصداقاً لقوله سبحانه : « و من يعيش عن ذكر الرحمن نقض له شيطاناً فهو له قرين » (الآية ٣٦ من سورة الزخرف) .

و قد ورد عن المصطفى عليه أسم الله ألا يقال لرديفة حينما عثرت ناقته ، وقال الرديف : (تعس الشيطان) فقالي له الرسول عليه أسم الله : (لا تقل ذلك فانك إذا قلتها تكابر و قال بقوتي صرعيه ، و لكن قل باسم الله فانك إذا قلتها تصادر حتى يكون كالذبابة) .

و قد جاء في الحديث الشريف ما يدل على اعتبار الميكروبات الصنارة شيئاً أيضاً لقوله صلوات الله عليه : (قصوا الأظافر كي لا تتظلل تحتها الشياطين) و لعل المقصود من ذلك ألا تكون وكرآ لهذه الشياطين أى الميكروبات الصنارة ، ومن الفطرة حف الشارب وهو في طريق مجرى الغذاء و التنفس ، وقد ورد في الأثر عنه (عليه أسم الله) الفطرة خمس : حف الشارب ، و إغفاء اللحية ، و تنف الابط ، و قص الأظافر ، و حلق العانة) .

كذلك قال صلوات الله عليه : (غلقوا الأبواب إذا رقدم ، و اطقووا المصابح وأوكثوا الأسقية ، و خمروا الطعام و الشراب) و قال أيضاً : (تكبوا الغار فإنه من النسمة) ومن الندب تغطية الفم باليد عند الشائب ، و الأحاديث في هذا المعنى كثيرة .

أما شياطين الانس فقد لا يتأثرون بكلمة الحق ، و لا يخفلون بإشعاع النور ، و قد وصفهم الله سبحانه بقوله : « و إخوانهم يمدونهم في الغى ثم لا يقترون » (الآية ٢٠٢ من سورة الأعراف) و إنما ترددتهم العدالة الحقة بالقصاص عند إقامة الحدود ، و قد جاء عن الرسول عليه أسم الله أنه قال : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فلن لم يستطع فبلسانه ، فلن لم يستطع بقبليه ، و ذلك أضعف الإيمان » .



كان . ولو فقد كل شيء مما يعد الناس فقده هو الحرمان . . . و يفتقدوا من يمسكها الله عنه في كل شيء ، وفي كل وضع ، وفي كل حالة ، وفي كل مكان . ولو وجد كل شيء مما يعده الناس علامات الوجдан والرضوان !

وما من نعمة - يمسك الله معها رحمته - حتى تقلب هي بذاتها قمة .
وما من مخنة - تحفها رحمة الله - حتى تكون هي بذاتها نعمة .. ينام الإنسان على الشوك - مع رحمة الله - فإذا هو مهاد . و ينام على الحرير - وقد أمسكت عنه - فإذا هو شوك القناد . و يعالج أسر الأمور - برحة الله .
فإذا هي هوادة و يسر و يعالج أيسر الأمور - و قد تخلت رحمة الله فإذا هي مشقة و عسر . و يخوض بها الخاوف والأخطر فإذا هي أمر و سلام . و يعبر بدونها المناهج والمسالك فإذا هي ملكة و بوار !

ولا ضيق مع رحمة الله . إنما الضيق في إمساكها دون سوء . لا ضيق و لو كان صاحبها في غياب السجن ، أو في جحيم العذاب أو في شباب الملائكة . و لا وسعة مع إمساكها و لو تقلب الإنسان في أعطاف النعيم ، وفي مرانع الرخاء . فن داخل النفس برحة الله تتفجر ينابيع السعادة والرضا و الطمأنينة . و من داخل النفس مع إمساكها تدب عقارب القلق و التعب و النصب و الكد و المعاناة !

هذا الباب وحده يفتح و تغلق جميع الأبواب ، و توصد جميع التواذن ، وتسد جميع المسالك . . . فلا عليك . فهو الفرج والفسحة واليسر والرخاء . . . و هذا الباب وحده يغلق و تفتح جميع الأبواب و التواذن و المسالك غا هو بنافع . و هو الضيق و الكرب و الشدة و القلق و العناء !

هذا الفيض يفتح ، ثم يضيق الرزق . وبضيق السكن . وبضيق العيش ، و تخشن الحياة ، و يشوك المضجع . . . فلا عليك . فهو الرخاء و الراحة

رحمة الله تتمثل في كل شيء

بعلم الشهيد سيد قطب

ما يفتح الله للناس من رحمة فلا يمسك لها ، وما يمسك فلا مرسل
له من بعده ، وهو العزيز الحكيم ..

في هذه الآية الثانية من السورة صورة من صور قدرة الله التي ختم بها الآية الأولى . و حين تستقر هذه الصورة في قلب بشري يتم فيه تحول كامل في تصوراته و مشاعره و اتجاهاته و موازينه و قيمه في هذه الحياة جمعياً .

إنها تقطعه عن شبهة كل قوة في السموات والأرض و تصله بقدرة الله .
و تبيّنه من مظنة كل رحمة في السموات والأرض و تصله برحة الله .
و توصد أمامه كل باب في السموات والأرض و تفتح أمامه باب الله . و تغلق في وجهه كل طريق في السموات والأرض و تشرع له طريقه إلى الله .

و رحمة الله تتمثل في مظاهر لا يحصيها العد ، و يعجز الإنسان عن مجرد ملاحظتها و تسجيلها في ذات نفسه و تكوينه ، و تكريمه بما كرمه ، و فيما يخر له من حوله و من فوقه و من تحته ، و فيها أنعم به عليه بما يعلمه و بما لا يعلمه و هو كثير .

و رحمة الله تتمثل في الممنوع تمثيلها في الممنوع . و يجدوها من يفتحها الله له في كل شيء ، وفي كل وضع ، وفي كل حال ، وفي كل مكان . . .
يجدوها في نفسه ، وفي مشاعره ، و يجدوها فيما حوله ، و حيثما كان ، وكيفما

و لا يستمتع بجاه و لا سلطان ، و يدخل بها الآخرة رصداً ضحماً من النار !

و العلم الغزير . و العمر الطويل . و المقام الطيب . كلها تتغير وتبدل من حال إلى حال .. مع الامساك و مع الارسال .. و قليل من المعرفة يشعر و ينفع ، و قليل من العمر يبارك الله فيه . و زهيد من المتساع يجعل الله فيه السعادة .

و الجماعات كالآحاد . و الأمم كالأفراد . في كل أمر وفي كل وضع ، و في كل حال .. و لا يصعب القياس على هذه الأمثال !

ومن رحمة الله أن تحس برحة الله فرحمة الله تضمنك وتغمرك وتفيض عليك . و لكن شعورك بوجودها هو الرحمة . و رجاوك فيها و تطلعك إليها هو الرحمة . و ثقتك بها و توقعها في كل أمر هو الرحمة . و العذاب هو العذاب في احتجابك عنها أو يأسك منها أو شكك فيها . وهو عذاب لا يصبه الله على مؤمن أبداً . إنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون ..

و رحمة الله لا تعز على طالب في أي مكان ولا في أي حال . و جدتها إبراهيم - عليه السلام - في النار . و جدتها يوسف - عليه السلام - في الجب كما وجدتها في السجن . و جدتها يونس - عليه السلام - في بطن الحوت في ظلمات ثلاث . و جدتها موسى - عليه السلام - في اليم وهو طفل مجرد من كل قوة و من كل حراسة ، كما وجدتها في قصر فرعون و هو عدو له متربص به و يبحث عنه . و وجدتها أصحاب الكهف في الكهف حين افتقدوها في القصور والدور . فقال بعضهم لبعض : فألووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمه ، و وجدتها رسول الله عليه السلام و صاحبه في الغار والقوم يتبعونها و بغيها ، و مثار حقد و موجودة على صاحبها لا يقر له معهم قرار ،

و الطمأنينة و السعادة . و هذا الفيض يمسك . ثم يفيض الرزق ويقبل كل شيء . فلا جدوى . وإنما هو الضنك و المحرج و الشقاوة و البلاء !

مال و الولد ، والصحة والقوية ، والجاه والسلطان .. تصبح مصادر فاق و تعب و نكد و جهد إذا أمسكت عنها رحمة الله . فإذا فتح الله أبواب رحمة كان فيها السكن و الراحة و السعادة و الاطمئنان .

يسقط الله الرزق - مع رحمة - فإذا هو متع طيب و رخام ، وإذا هو رغد في الدنيا و زاد إلى الآخرة . و يمسك رحمة ، فإذا هو مثار فاق و خوف ، وإذا هو مثار حسد و بغض ، وقد يكون معه الحرمان يدخل أو مرض ، وقد يكون معه التلف بأفراط أو استهثار .

ويمنح الله الذرية - مع رحمة - فإذا هي زينة في الحياة ومصدر فرح و مضايفة للأجر في الآخرة بالخلف الصالح الذي يذكر الله . و يمسك رحمة فإذا الذرية بلاء و نكد و عنت و شقاء ، و سهر بالليل و تعب بالنهار !

ويهب الله الصحة و القوة - مع رحمة - فإذا هي نعمة وحياة طيبة ، و التزاذ بالحياة . و يمسك نعمته فإذا الصحة و القوة بلاء يسلطه الله على الصحيح القوى ، فيفتق الصحة و القوة فيها يحطم الجسم و يفسد الروح ، و يذخر السوء يوم الحساب !

و يعطي الله السلطان و الجاه - مع رحمة - فإذا هي أدلة إصلاح ، و مصدر أمن ، و وسيلة لادخار الطيب الصالح من العمل والأثر . و يمسك الله رحمة فإذا الجاه و السلطان مصدر فاق على قوتها ، و مصدر طغيان و بغيها ، و مثار حقد و موجودة على صاحبها لا يقر له معهم قرار ،

صورة واحدة لو استقرت في قلب إنسان لصمد كالطود للأحداث والأشياء
و الأشخاص و القوى والقيم و الاعتبارات . ولو تضافر عليها الانس والجن .
و هم لا يفتحون رحمة الله حين يمسكها ، و لا يمسكونها حين يفتحها ..
و هو العزيز الحكيم ..

و هكذا أنشأ القرآن يمثل هذه الآية و هذه الصورة تلك الفئة العجيبة
من البشر في صدر الاسلام . الفئة التي صنعت على عين الله بقرآنها هذا
لتكون أدلة من أدوات القدرة ، تنشئ في الأرض ما شاء الله أن ينشئ من
عقيدة و تصور ، و قيم و موازين ، و نظم و أوضاع . و تقر في الأرض
ما شاء الله أن يقر من نماذج الحياة الواقعية التي تبدو لنا اليوم كالأساطير
والأحلام . الفئة التي كانت قدرآ من قدر الله يسلطه على من يشاء في الأرض
فيمحو و يثبت في واقع الحياة و الناس ما شاء الله من محو و من إثبات .
ذلك أنها لم تكن تتعامل مع ألفاظ هذا القرآن ، و لامع المعانى الجملة التي
تصورها .. و كفى .. و لكنها كانت تتعامل مع الحقيقة التي تمثلها آيات
القرآن ، و تعيش في واقعها بها ، و لها ..

وما يزال هذا القرآن بين أيدي الناس ، قادرآ على أن ينشئ بما به تلك
أفراداً و فئات تمحو و تثبت في الأرض - باذن الله - ما يشاء الله .. ذلك
حين تستقر هذه الصور في القلوب ، فتأخذها جداً ، و تمثلها حقاً . حقاً
تحسه ، كأنها تلمسه بالأيدي و تراه بالأبصار ..



و يقصون الآثار .. و وجدها كل من آوى إليها يأساً من كل ما سواها .
منقطعاً عن كل شبهة في قوة ، و عن كل مظنة في رحمة ، فاصداً باب الله
وحده دون الأبواب .

ثم إنه متى فتح الله أبواب رحمته فلامسك لها ، ومتى أمسكها فلامرسلا
لها . و من ثم فلا مخافة من أحد . ولا رجاء في أحد . ولا مخافة من شيء ،
ولا رجاء في شيء ، ولا خوف من فوت وسيلة ، ولا رجاء مع الوسيلة .
إنما هي مشيئة الله . ما يفتح الله فلامسک . وما يمسك الله فلامرسلا . والأمر
مبشرة إلى الله .. « و هو العزيز الحكيم » .. يقدر بلا معقب على الارسال
والامساك . و يرسل ويمسك وفق حكمة تكن وراء الارسال والامساك .
ـ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا يمسك لها ..

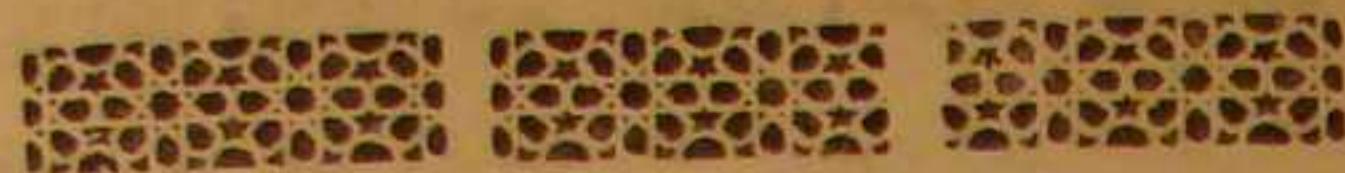
ـ ما بين الناس و رحمة الله إلا أن يطلبوها مبشرة منه ، بلا وساطة
و بلا وسيلة إلا التوجّه إليه في طاعة و في رجاء و في ثقة وفي استسلام .
ـ و ما يمسك فلا مرسل له من بعده »

فلا رجاء في أحد من خلقه ، و لا خوف لأحد من خلقه . فما أحد
مرسل من رحمة الله ما أمسكه الله .

آية طهانينة ؟ و أى قرار ؟ و أى وضوح في التصورات و المشاعر
و القيم و الموازين تقره هذه الآية في الضمير ؟!

آية واحدة ترسم للحياة صورة جديدة ، و تنشئ في الشعور قيماً لهذه
الحياة ثابتة ، و موازين لا تهتز و لا تتأرجح و لا تتأثر بالمؤثرات كلها .
ذهبت أم جامت . كبرت أم صغرت . جلت أم هانت . كان مصدرها الناس
أو الأحداث أو الأشياء !

إلى منهج تربوي إسلامي أصيل



معالي الدكتور محمد حسين الذهبي
وزير الأوقاف وشئون الأزهر (مصر)

(٢)

و تزيد المشكلة حدة حينما نلقى النظر على أول درجات السلم التعليمى في
معظم بلاد العالم العربى والاسلامى ! ففلسفة التعليم فى هذه البلاد تقوم على
التقابض بين مستويات التعليم ومستويات المعلمين .

المرحلة الأولى : (الابتدائية) هي أولى درجات السلم - و معلمها هو
أقل المعلمين حظاً من الاعداد العلى و التربية و كلما ارتفعت المرحلة في سلم
التعليم ازداد نصيب المعلم من هذا الاعداد !

و نظراً لظروف مادية و اجتماعية متشابكة تحكم واقع هذه البلاد فإن
صورة التعليم الابتدائي (وهو الأساس) في كثير منها تمثل مأساة حزينة !

فالمدرس في هذه المرحلة يتولى تدريس اللغة و الدين بجانب غيرهما من
المواد كالحساب و التاريخ القوى و مبادئ العلوم إلخ ١٠٠
هذا المدرس في الأغلب الأعم فقد القدرة تماماً على تدريس اللغة أو
الدين و فقد الشئ لا يعطيه ! و لعل الأمر الباقى مثل هذا المعلم في نفوس
الناشئة هو ترسيب نوع من الشعور السلبي تجاه درس اللغة العربية و درس
الدين لعله أساس ما يbedo من نفور التلاميذ من هذين الدرسرين ومن معلميهما
فيسائر مراحل التعليم !

التوجيه الإسلامي

في عناصره مقومات الداعية و المربى و المعلم ! فالتربيـة الاسلامـية الحقـة هي دعـوة .. و هـي تـربية .. و هـي تعـليم !

و لـمـذـكـر : هـذا الجـهاـز يـحـلـلـلـلـمستـوىـ الثـانـيـ منـالـمسـتوـيـاتـ الـسـلـفـاـ

مستـوىـ التـفـقـهـ فـيـ الدـينـ ،ـ الـذـىـ يـتـبـعـ لـاصـحـابـهـ أـنـ يـكـونـواـ مـتـفـقـينـ دـعـاءـ مـنـذـرـينـ !

وـ الـفـقـهـ عـلـمـ دـقـيقـ ،ـ وـ الدـعـوـةـ تـوجـيهـ وـ تـرـبةـ وـ قـيـادـةـ وـ قـدـوةـ تـسمـحـ لـاصـحـابـهـ

أـنـ يـقـفـ بـيـنـ قـوـمـهـ مـنـذـرـاـ فـاـذـاـ هـمـ يـحـذـرـوـنـ ،ـ اـسـتـجـابـةـ لـهـذـاـ الـاـنـذـارـ ثـقـةـ فـيـ مـصـدـرـهـ !

هـذـاـ الجـهاـزـ التـرـبـويـ إـلـاسـلامـيـ يـوـضـعـ «ـ الـمـنـجـ إـلـاسـلامـيـ »ـ الـأـمـوـلـ

مـضـمـونـ هـذـاـ الـمـنـجـ :ـ «ـ الـقـرـآنـ »ـ كـلـهـ ،ـ وـ صـحـيـحـ السـنـةـ كـلـاـ

تـنظـيمـ هـذـاـ الـمـنـجـ :ـ أـسـاسـ التـنـظـيمـ هـنـاـ أـنـ بـنـدـاـ بـتـحـدـيدـ دـقـيقـ لـلـخـاـوـرـ إـلـىـ

يـدـورـ عـلـيـهـ كـتـابـ اللـهـ مـثـلاـ :ـ الـعـقـيدةـ -ـ الـعـبـادـاتـ -ـ الـاخـلـاقـ -ـ نـظـامـ الـأـسـرـةـ -ـ

الـنـظـامـ الـمـالـيـ -ـ نـظـامـ الـحـكـمـ ..

الـعـلـاقـاتـ معـ غـيرـ الـمـسـلـيـنـ (ـ الـعـلـاقـاتـ الـدـولـيـةـ)ـ إـلـخـ ..

بـعـدـ التـصـنـيفـ الدـقـيقـ هـذـهـ الـخـاـوـرـ أوـ الـمـحـالـاتـ تـجـمـعـ آـيـاتـ الـكـتـابـ الـعـزـيزـ

ـ وـ مـاـ يـتـصلـ بـيـانـهـاـ مـنـ حـدـيـثـ رـسـوـلـ اللـهـ مـلـيـثـهـ -ـ إـلـىـ مـدـورـ حـولـ كـلـ

ـ حـوـرـ مـنـهـاـ !

كـلـ طـائـفةـ مـنـ آـيـاتـ تـدـورـ حـولـ حـوـرـ مـعـيـنـ :ـ يـنـظـرـ فـيـهـ نـظـرةـ شـمـولـ

ـ وـ تـكـامـلـ تـتـبـعـ تـنـاوـلـهـاـ كـوـحـدـةـ لـاـ انـفـصـامـ يـنـهـاـ !ـ (ـ الـاحـادـيـثـ أـبـدـاـ تـابـعـةـ لـلـآـيـاتـ

ـ فـيـ مـوـطـنـ الـبـيـانـ وـ الشـرـحـ إـلـخـ)ـ .

هـذـهـ الـنـظـرةـ الشـمـولـيـةـ تـفـرـضـ عـلـىـ مـنـ يـتـنـاوـلـ هـذـهـ الـوـحدـةـ مـنـ آـيـاتـ

ـ نـوعـاـ مـنـ التـرـيـبـ يـعـكـنـهـ مـنـ عـرـضـهـاـ عـرـضاـ مـتـابـعاـ مـتـسـلـساـ يـكـشـفـ عـنـ الـعـلـاقـاتـ

ـ وـ الـصـلـاتـ غـيرـ الـمـنـظـورـةـ فـيـهـاـ يـتـوـخـيـ خـلـالـ عـرـضـ شـرـحـ آـيـاتـ وـ تـفـسـيرـهـاـ

قد تكون أطـلـاـ قـلـلاـ فـيـ تـلـخـيـصـ العـقـدـاتـ وـ الـمـعـوقـاتـ لـكـنـ ذـلـكـ ضـرـورـيـ

ـ لـفـهـ الـوـاقـعـ فـيـدـونـ هـذـاـ الـفـهـمـ لـاـسـتـطـعـ تـنـطـيـطـ مـنـجـ قـابـلـ لـلـتـطـيـقـ تـطـيـقـاـ نـاجـحاـ

ـ يـحـقـ الـغـاـيـةـ مـنـهـ !

قـلـاـ مـنـ قـبـلـ :ـ إـنـ الـمـنـجـ التـعـلـيـمـ إـلـاسـلامـيـ الـذـىـ يـعـتمـدـ كـتـابـ اللـهـ وـ سـنـةـ

ـ مـلـيـثـهـ مـصـدـرـاـ وـ مـضـمـونـاـ يـسـتـلزمـ جـهاـزـ تـرـبـويـاـ عـلـىـ أـعـلـىـ مـسـتـوـيـاتـ السـكـافـيـةـ

ـ الـعـلـمـيـةـ وـ الـأـخـلـاقـيـةـ ..ـ وـ قـدـ رـأـيـاـ صـورـةـ مـمـثـلـ إـلـىـ حدـ كـبـيرـ أـجـزـءـ

ـ الـتـرـبـيـةـ فـيـ بـلـادـ الـعـالـمـ الـعـرـبـ وـ الـإـسـلـامـ ،ـ فـهـلـ تـسـتـطـعـ هـذـهـ الـأـجـزـءـ أـنـ تـهـنـصـ

ـ بـعـبـ وـ مـسـؤـلـيـةـ تـطـيـقـ «ـ مـنـجـ القـرـآنـ وـ السـنـةـ »ـ ؟

ـ إـنـ الـأـجـابـةـ وـ اـنـخـةـ ،ـ فـاـذـيـفـ إـلـيـهـاـ مـاـ ذـكـرـنـاـ مـنـ حـدـيـثـ الـمـسـتـوـيـاتـ

ـ الـثـلـاثـةـ اـزـدـادـتـ وـ ضـوـحـاـ !ـ فـاـذـيـفـنـاـ مـشـكـلـةـ الـذـوقـ وـ صـعـوبـةـ اـكـتسـابـهـ لـمـ يـقـ

ـ فـيـ الـمـوـقـعـ بـقـيـةـ مـنـ خـفـاءـ !

ـ نـجـاحـ الـمـنـجـ -ـ أـيـ مـنـجـ -ـ رـهـنـ بـكـفـامـةـ الـجـهاـزـ التـرـبـويـ الـذـىـ يـتـولـيـ تـنـفـيـذهـ .

ـ هـلـ عـدـنـاـ مـرـةـ أـخـرـىـ إـلـىـ الـطـرـيـقـ الـمـغـلـقـةـ ؟ـ !

ـ هـنـاـ مـدـخـلـ يـمـكـنـ أـنـ تـنـفـذـ مـنـهـ وـ تـابـعـ السـيـرـ حـتـىـ نـتـهـيـ إـلـىـ غـايـتـاـ !

ـ غـايـتـاـ الـنـاهـيـةـ :ـ مـنـجـ إـلـاسـلامـيـ أـصـيـلـ قـوـامـهـ :ـ كـتـابـ اللـهـ وـ السـنـةـ

ـ الـمـطـهـرـةـ ،ـ !

ـ وـ طـرـيـقـنـاـ إـلـيـهـاـ طـرـيـقـ يـجـبـ أـنـ نـسـلـمـ بـأـمـهـ طـرـيـقـ طـوـيلـ وـ يـحـسـبـنـاـ أـنـ نـخـطـوـاـ

ـ الـخـطـوـةـ الـأـوـلـىـ مـنـهـ .

ـ وـ نـقـطـةـ الـبـدـءـ هـىـ كـسـرـ الـحـلـقـةـ الـمـفـرـغـةـ الـذـىـ بـدـأـ أـنـاـ نـدـورـ فـيـهـ وـ كـسـرـهـاـ

ـ بـنـجـاحـ أـنـ بـدـأـ بـنـجـ إـعـدـادـ الـمـعـدـينـ وـ الـمـرـبـيـنـ وـ الـدـعـاءـ !

ـ هـذـاـ يـفـرـضـ بـدـاهـةـ :ـ أـنـ نـوـفـرـ لـلـتـرـبـيـةـ إـلـاسـلامـيـ جـهاـزـهـ الـمـتـخـصـصـ تـوـافـرـ

ربيع الثاني ١٣٩٥هـ

هذه كلها جزئيات تكامل في كل هو « الإسلام » عنواناً وهو « القرآن » محتوى . و « السنة » بياناً ! والجزء وهو في الكل الذي يضمه غيره من فصلاته ! و لذا فلا بد من تعريف تمييزى بهذا الكل تعريفاً يكشف عن الوحدة في هذه الجزئيات ، عن تكاملها و ترابطها و تفاعلها و عدم الانقسام بينها فهي آنية من مصدر واحد لا يختلف ما يصدر عنه بل يصدق بعضه بعضاً ، وهي موجهة هداية الإنسان و الإنسان هو الآخر وحدة لا انقسام بين جزء منها و آخر - (البدن - العقل - النفس - الروح) كلها تتفاعل و تتأثر و تتكامل في انسجام تنتهي بالوحدة الفسيمة أو الروحية للإنسان .

وما توصلنا إليه حتى الآن : هو « صلب المنهج » ، أو « المنهج الأساسي » منهج المقاصد !

وبقيت متممات لمنهج : بعضها يدخل في باب الوسائل - وبعضها يدخل في باب التعريف العام بالمنهج أيضاً ! (و لنبدأ ببعض متممات المنهج من حيث التعريف به) .

أولاً : قلنا : « حسبنا كتاب الله » ، و « سنة رسوله » ، منهجاً ! و هذا هو شعارنا الآن ! لكن : تاريخ هذا الكتاب ... ما موقفنا منه ! أما أصحاب رسول الله ﷺ فقد عاشوا هذا التاريخ حياً يبصرون فاستغنو بذلك عن تقرير المنهج إلى متناول دارسية و تدليل صوابه التي تعتبر ضرورة ! طلب روایته و تفسيره ! لكن كيف بنا بعد أربعة عشر قرناً ؟ !

سائغ تماماً أن يكون « تاريخ الوحي » ، من مقدمات المنهج و بين يدي دراسته ، على أن يكتب هذا التاريخ بمنهج يلامنه ! لقد سُئل النبي ﷺ من بعض صحابته : « كيف يأتيك الوحي » ؟ !

و ربطها بما يتصل بها من الأحاديث تفسيراً يتبع فقهها فتهاً تماماً ! على أن يكون التفسير هنا تلقى دلالات النص في دقة بالغة و شمول ، ثم التعبير عنها في دقة و وضوح دون تجاوز !

يقدم لهذه الوحدة من الآيات و ما يتبعها بتمهيد : يعرف موضوعها العام أولاً ، ثم يشير في إيجاز إلى جزئيات هذا الموضوع ! و يعنى عنالية خاصة ببيان المنهج العام الذي عالجت الآيات موضوعها من خلاله - ثم يشير إلى ما قد يعرض من مناهج أخرى و دواعيها كافشاً عن قيمة هذا كله وكيف أنه أقوم المناهج في معالجة موضوعه ، و في كل أولئك لا تلقى دعوى دون برهنة و تدليل !

هذا يصبح في يدنا منهج « قرآن » ، كامل في العقيدة الإسلامية يعالجها من وجهة نظر القرآن و بمنهجه هو لا من وجهة نظر المؤلفين و المفسرين ! و لا بمناجتهم !

و يمثل هذا الصنيع مع باقى المحاور تحصل على مناهج « قرآنية » ، كاملة في شتى ميادين المعرفة الإسلامية و العلم الإسلامي : منهج في العبادات - منهج في الأخلاق - منهج في النظام المالي - في نظام الحكم إلخ ...

ما نصنه هنا ليس وضعاً لمنهج .. إنما هو جهد علمي في تربوي يدخل في نطاق ما سميته « الدور الفنى » للتربية الإسلامية ! هو خدمة فنية تحاول تقرير المنهج إلى متناول دارسية و تدليل صوابه التي تعتبر ضرورة !

تصور الآن أن يدنا : كتاباً في العقيدة الإسلامية : مضمونه : ما في القرآن و السنة من نصوص تعالجها و تدور حولها ! أخرج هذا المضمون إخراجاً تربوياً تعليمياً موفقاً ! و عرض في أسلوب ملزم دقيق ! و كتاباً مناظراً في العبادات ... و ثالثاً في الأخلاق ... و هلم جراً !

يقى من هذه المتممات الضرورية للتعریف بالمنهج : باب في التهید يتناول مسألة الاعجاز .. وكيف أن القرآن للنبي عليه السلام هو معجزة وعلم نبوته .. مثله مثل ما أوى الآيات من قبله من آيات آمن عليها البشر !

★ تلخيص ما سوف يضمه التهید ليتضمن :

★ تاريخ الوحي مع معالجة لظاهره من كل جوانبها !

★ تاريخ القرآن ومنهج نقله عبر الزمن !

★ تاريخ السنة و منهج نقدها و توثيقها !

★ مسألة الاعجاز و علم النبوة !

★ هذه هي محتويات التهید أو التعریف بالمنهج نراها ضرورية كمقدمة له ! ثانياً : متممات تدخل في باب الوسائل :

و إنما لتغزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين » . هذا وصف القرآن نفسه : تنزيل ... بلسان عربي مبين !

معرفة اللسان العربي مدخل ضروري وشرط موضوعي لكل من يقترب من كتاب الله فهماً أو درساً ! و كذلك « السنة » !

و ليس يكفى في معرفة اللسان العربي حفظ مفردات اللغة - ولا معرفة نحوها و صرفها ... و إنما وراء هذا كله فقه أسرارها و استبطان طرائقها في التعبير و خصائصها في الدلالة ! و لحوتها في الایماء !

معرفة أساليب اللغة و طرائقها في التعبير ... و اكتساب ذوقها الياني هو المطلوب هنا ! فبدون هذه المعرفة و هذا الذوق يستحيل فهم « النص » القرآنى ذى الصياغة التي بلغت حد الاعجاز !

و هو سؤال عميق الدلالة يكشف عن اهتمام بالظاهرة نفسها أولاً وقبل كل شيء ، والحق أن ظاهرة الوحي هي أول ما ينبغي أن يعالج في مقام التعريف والتهيد !

و القرآن الكريم نزل - بتقريره هو - مفرقاً ، واستوعب نزوله قريباً من ربع قرن ... و القوم أميون تدر فيهم الكتابة و لا يهتمون كثيراً بالتسجيل ... و النبي ألمى . - لحكمة تتصل بمعجزته . - لكن المصحف أمامنا كامل مرتب السور و الآيات ، متقن الضبط و الرسم ! كيف تمت له هذه الصورة الأخاذة ؟ و لقد سجل القرآن نفسه أن كتاباً سماوية أخرى تعرضت للتغيير و التبدل وللكمان والاخفاء ! كل أولئك يجعل تاريخ الوحي و تاريخ القرآن تاريخاً منهجياً على أصول النقد التاريخي الصارم - و حظ تراذنا منه أوفر الحظوظ - مقدمة أوجزها من المقدمة أو التهيد حتى يتم التعريف بالمنهج و يلقى مزيد من الضوء عليه !

و سنة رسول الله ﷺ لقد وضعت في مكانها الصحيح ! بياناً للكتاب ! و من حقها ألا توضع إلا موثقة مبرأة من الشكوك و الريب و الظنون !

وهذا يفرض باباً في المقدمة أو التهيد أوجزها من أيها يتناول تاريخ « السنة » حتى عصر التدوين ... ويعرض للمنهج الذي اتبع في تمجيسي صحيحها و نفي ما عداه ، ثم تملأ الثغرات التي فتحت بباب التشكيك من حولها ، ومن المخيم في هذه الحالة أن يلتزم هذا المنهج في تمجيسي كل ما يضمه المنهج من مرويات السنة ، وفي الصحيح الموثق ما يعني عن سواه !

(١) صلب المنهج : «كتاب الله» و «الصحيح من السنة» ،

(٢) متممات المنهج :

(أ) مقدمة أو تمهيد للتعریف .

(ب) وسائل ضرورية لفهم نصوص المنهج !

بعنوان سؤالان مهمان :

من يضطلع بإعداد هذا المنهج على الوجه الذي اقرحناه ؟

ما السبيل إلى وضعه موضع التطبيق ؟

أما عن الأول فواضح أن مثل هذا المنهج مسئولية هؤلاء الرجال من يستشعرون ضرورته و الحاجة إليه و يحسون بالتبعية نحوه ! مسئوليتنا نحو

الذين التقينا هنا و مسئولية أمثالنا من يشاركونا هذا الاحساس و يعلكون

أن يساهموا في إنجاز هذه الغاية التي يجب أن تدعى من أجلها في عمل جماعي

مشترك توزع فيه الأعباء بعد تحضير طبقاً كامل متفق عليه ، و نحدد توقيتاً لمناقشة

ما ينتهي إليه كل منا حتى يكون ما نقره في النهاية قد ظفر هنا برأي اجتماعي

و نظر متكامل !

أما وضع هذا المنهج موضع التطبيق فاما منا عده وسائل :

(١) أن تقدم بهذا المنهج إلى القائمين على التعليم الديني في بلاد العالم الإسلامي

و نوصي بتطبيقه .

(٢) أن تبادر الهيئات الدينية غير الرسمية بتبنيه و تطبيقه في دور العلم ومعاهده

التي توجهها و تشرف عليها .

(٣) أن تقدم به إلى الحكومات الإسلامية للنظر في إمكان تطبيقه بعد إقراره

رسمياً في معاهدها .

علوم اللسان العربي - وعلم الذوق العربي في مقدمتها - ضرورة للتسلل بها إلى فهم «المنهج القرآني» ، لكن هذه العلوم بوضعيتها الراهنة و بطرائق تدرسيتها تستغرق من الزمن و الجهد ما يجحف على المقاصد التي يراد التوصل إليها بهذه العلوم !

هذا مجال واسع لجهد عظيم شاق لكنه مثمر تقوم به «التربية الإسلامية» في إطار وظيفتها الغنية ، يتمثل هذا الجهد في أمرتين :

(١) أولهما : البحث عن طرق و مناهج تربوية متقدمة للبحث في هذه العلوم اللغوية من نحو و صرف و بلاغة إلخ ... و للتأليف فيها و طريقة تدرسيتها ... بما يتتيح تحقيق الغاية منها بأقل جهد و في أقصر وقت !

(ب) ثانية : البحث عن أنساب الوسائل لربط دراسة هذه العلوم « بالمنهج القرآني » المقترن !

و من أقرب ما يقترح في هذا الصدد أن تتجنب الأمثلة الصناعية في كتب النحو والبلاغة - مثلاً - ولا يقدم من الأمثلة إلا ما كان «آية كريمة» أو «حديثاً شريفاً» ، و هنا يحدث لون من الربط بين الغاية و الوسيلة من ناحية - كما تضمن تخلص درس هذه العلوم من هزال و جفاف الأمثلة الصناعية التي تفسد الذوق و تخنق الاستعدادات التي تجد لها متنفساً في جو الآية و الحديث !

و المستوى الذي تتحدث عنه يسمح لنا بمثل هذا !

أصبحت صورة المنهج المقترن على الوجه التالي :

المحورية من المستوى الأخير هنا بديل صالح مما هو شائع الآن من كتب تقوم على التقاط آية من هنا و آية من هناك - و حدث من واد بجانبه حدث من واد آخر - و على وجه يعالج كل نص معالجة مبتسرة كأنما هو حبة سقطت من عقدها !

ميزة هذه السكتب ستكون ! في شمولها و تكامل مادتها - و التزامها بأن ترك القرآن يقول هو ما يريد لأن تنطقه هي بمعاهدات أو أفكار أو اتجاهات سيطرت على تفكيرها فهي تفرضها على النص فرضاً مع أنها لا تدخل في دلالته ، إلى تزييق النصوص و ما يتربّ عليه من سوء فهمها في كثير من الأحيان ! كما أنها سوف تحل مشكلة أخرى تمثل في قصور هذه الكتب الموضوعة عن استيعاب المضمون القرآني وسوف تتبع كذلك الربط الوثيق بين نصوص القرآن و ما يدينها من نصوص السنة !

ويبيّن وراء هذا: القيمة الخطيرة للقدمة أو التهديد المقترن بين يدي المنهج ! هذا الذي قلناه قد يعالج الناحية التعليمية أو المعرفية في المنهج ! فماذا عن الجانب العملي أو التربوي الحقيقى ؟

إن الناشئ قد يعرف كل شيء عن الصلاة - و لكنه لا يؤدّي لها لسبب بسيط هو : أنه لم يتعود عليها !

هذا التدريب العملي على العبادات - و تهيئه الفظروف و المواقف التي تسمح للنشء بتمارسة القيم و أنماط السلوك الخلقي و الاجتماعي الذي يحدد الجانب التهذيبى من الإسلام .

هذا التدريب وهذه التهيئة . مضافاً إليهما توافر القدوة الصالحة والبيئة أو الجو التربوي الملائم - مما أصعب ما يواجه التربية و المربيين !

(٤) أن تختار لتطبيقه مكاناً ملائماً و يتولى جهاز اختياره مهمة الاشراف عليه ثم يدعى المسلمين عامة أفراداً و هيئات و حكومات للتبرع من أجله و بذلك تحل مشكلة التمويل من جهة ، و تضمن حرية تطبيقه من جهة أخرى !

لو تحقق تطبيق هذا المنهج ثم أمكن تعميمه في بلاد المسلمين و معاهدهم فعنده أن ، التربية الإسلامية ، أصبحت تمتلك قوة ضاربة تستطيع بها أن تحطم هذه الحواجز التي فصلتها قرون طوبلة عن توجيه القرآن ! لكن حتى يأذن الله بهذه الأمينة أن تتحقق لا ينبغي أن نترك الميدان ، بل علينا أن نبحث عن بديل ! و البديل الممكن في نظرنا يتمثل في :

★ أن نقوم باعداد المنهج طبقاً للتصور الذي قدمناه ليكون يدنا عند أول فرصة تفتح له يقضيها الله !

★ أن نقوم بترجمة هذا المنهج - أن صح التعبير - إلى لغة ميسرة مبسطة مع الاحتفاظ الكامل بالمضمون و استيعابه ، و بالمنهج الذي عاج به القرآن موضوعاته من خلال هذا المضمون !

معنى هذا أن يصبح لكل محور أو موضوع من تلك التي انتهت إليها التصنيف المقترن كتاباً :

كتاب يعرض فيه الموضوع من خلال نصوص «الآيات» و «الأحاديث» عرضاً مباشراً و بمنهج القرآن نفسه كما فهمناه !

ثم كتاب آخر يعرض فيه الموضوع نفسه من خلال «مضمون الآيات و الأحاديث» ، عرضاً غير مباشر بأسلوب الكتاب و طريقة عرضه ١٩٩ الأولى أقرب إلى الترجمة ، و الثاني أقرب إلى التفسير ! هذه المجموعة من الكتب

الأسرة و المدرسة الأولى التي تعهد النشر، مما شريكان في هذه التبعة !
إن « الأخلاق » النظرية .. هي فلسفة فكرية - وليس تربية ، وإنما
تصبح تربية حينما تحول من خلال المربى إلى عادات .. واتجاهات وقيم ..
و سلوك عند الطفل .. وهي نظرياً - كفلسفة - لاتلازم الطفل ولا تفيده ،
و بالتالي لا معنى لخشوع منهجه بالتراث الفارغة حولها !

المربى هو الذي في حاجة إلى هذه الدراسة النظرية ، ولكنه أشد حاجة
إلى البصر بطرائق تحويلها إلى خيوط في النسيج النفسي للطفل و هو يصوغه
و ينشئه !

و قد جعلنا « الأخلاق » القرآنية محوراً من محاور المنهج و يقى أن
نقرر أن دارس منهجاً يجب أن يفقه المنهج الأخلاقي القرآني نظرياً كما يقرره
القرآن ، ثم يتزود بمعرفة الطريق أو الطرق التي يمكن بها من غرس هذه
الأخلاق في نفوس النشء !

كيف يجعل من الفضائل النفسية : من صدق ، وأمانة ، و وفاء بالعهد
ملكة راسخة !

كيف يجعل أداء الصلاة مثلاً التزاماً داخلياً ذاتياً لا يستطيع صاحبه أن
يخل به مما تكن ظروفه ! في منهج القرآن و نهج النبي ﷺ زاد أى زاد في
هذه السبيل لكنه إلى تأمل و إلى استبصار ينفذ بما إلى استبطاط الأصول
و الأسس التي تستند إلى هذا المنهج و لا أقول يستند هو إليها !



ولكي نصل في هذا الجانب إلى تائج عملية فلا بد أن نستهدي بأمرین :
(أ) طريقة النبي ﷺ في تهذيب أصحابه و منهجه في هذا التهذيب !
(ب) ما توصل إليه علم النفس من أسس تحكم عملية غرس القيم والاتجاهات
والعادات ، في ضوء هذين العاملين يمكننا أن نقترح منهجاً عملياً للتربية
الإسلامية يتكامل مع منهاجها النظري و في ضوء ما يقرره علم النفس
من حقائق يبدو لنا أن مكان هذا الجانب العملي من « التربية الإسلامية »
و مجال تطبيقه إنما يكون في مراحل التكوين النفسي الأولى !

« الطفولة » هي المرحلة الذهبية لتطبيق هذا الجانب الحيوي من تربية
تعنى بناء الإنسان خلقاً أو سلوكاً ! وقد نستأنس لهذا بتوجيه المربى الأعظم
صلوات الله و سلامه عليه !

إن حديثه الموجز : « مرروا أولادكم بالصلة لسبع و اضربوهم عليهم
لعشر و فرقوا بينهم في المصالح » هو نهج تربوي سيد في هذا المجال
العملي للتربية !

أمر و توجيه في السابعة ، ثم حساب و عقاب مناسب في العاشرة !
ثلاث سنوات كاملة لاماكن فيها للعقاب التربوي ! هي خالصة للتوجيه
والتدريب مع أعمال كل الدوافع النفسية الإيجابية (مادام العقاب غير مسموح
به حتى العاشرة) فإذا لم يشعر التوجيه و الثواب أو التشجيع .. فالعقاب
(الرفيق) العقاب التربوي المفهوم الذي تتضح أسبابه وغايته للربى شريعة سائحة
و مختومة .. و هكذا تقرر التربية في أحدث مقولاتها اليوم !

و معنى هذا أن الجانب الأخلاقي و السلوكي العملي (شامل العادات)
 مجال غرسه و التدريب عليه هو الطفولة الأولى حيث الفطرة قابلة ، والتوجيه
يسير ، و الغرس أقدر على النماء !

فضيلة الشيخ معراج الحق

رئيس الجامعة بالنيابة

الجامعة التي نريد أن تتحدث عنها في هذه الفرصة عرفت في الهند
وخارجها بـ « دار العلوم ديويند » ، وإن كلمة ديويند وإن لم تكن هي
جزءاً من اسمها ، ولكنها لعوامل عديدة صارت كالجزء اللازم ، فذكر ديويند
مع دار العلوم ليس هو مجرد ذكر موقعها ، وإنما هو تعبير عن مدرسة فكر
ومدرسة عمل و جهاد ، فلا يكتمل إلا بذكر هاتين الكلمتين . و مدارس
الفكر الخاصة إنما تكون بأهدافها و رسالتها ، و مسالكها فإذا أردنا أن
نعرف فكر ديويند فلا بد لنا من الاطلاع على أهدافها و رسالتها ، إلا أنه
يمكنا أن نقول ملخصاً : إنه عبارة عن التزام التوسط والاعتدال في كل شيء
 عملاً بقوله عليه السلام : خير الأمور أوساطها ، و جامعية في العلوم والأخلاق
تطبيقاً لقوله تعالى : « و يعلمهم الكتاب و الحكمة و يزكيهم » و سينتضح
ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى الاعتدال و الجامعية التي اتسم بها العلماء
المتخرجون من هذه المدرسة الفكرية و مدرسة العمل و الجهاد .

وليس بخاف أن دار العلوم أصبحت في غنى عن أي تعریف بها وكشف
عنها لعظم خدماتها و جلالة أعمالها و سعة نشاطها وانتشار متخرجيها في الهند
و باكستان و ماجاورهما من البلاد .

إنها إذا كانت نافذة على تاريخ الهند ومنعطفاً في حياة الأمة الإسلامية .

دراسات وأبحاث

إلى قلوب المسلمين وتفشت فيهم جرائم الشرك والبدعة والمادية وترافق الضباب الكثيف على صورة الاسلام النقية لاتقاد تلمع العيون المريضة ملامعها الحقيقة وصعبت معرفتها على حيوتها ونضارتها وحساسيتها ، لكن مع ذلك كانت هناك ومضات تلمع وسط هذا الظلام الدامس ، ومضات كانت تنبئ من قلوب المجاهدين المسلمين ، الذين لم يعرفوا اليأس بعد أن امتلأت قلوبهم بالإيمان بالله ، والاخلاص لدينهم وبلادهم .

كان هؤلاء المؤمنون المجاهدون ، برغم قلتهم ، شوكه في جنب المستعمر ، الذي كان يتخيلها دائماً أكبر وقوى من شوكه ، ويخشى أن تزداد وتكبر وتفوي حتى تأتي على حياته .

مراكز الاشعاع والمقاومة

و كانت المدارس الدينية التي أنشأها العلماء بعد فشل الثورة ، مراكز إشعاع هذه الفكرة - فكرة الجهاد - وتجديدها في النفوس ، حتى كان الانكليز ينظرون إليها نظرتهم إلى شبح مخيف ، يعلمون ما وسعهم الجهد للقضاء عليه وإبادته .

و رأى العلماء المخلصون والمفكرون منهم ، أن سلطانهم وإن ضاع منهم ، حين لم يقدروا على الدفاع عنه بالسلاح ، فإنهم يستطيعون أن يذلوا من نفوسهم ، وأموالهم ، ما يحفظون به دينهم حتى لا تكون تكبّتهم في سلطانهم ودينهم معاً - و إن السلطان يمكن استعادته إن ضاع ولكن إذا تخلوا عن الدين فلا يعود إليهم - فعملوا على الجهاد في هذا الميدان لكي يحفظوا على أنفسهم وأجيالهم القادمة دينهم ، وكانت الفكرة التي تستولي عليهم ، أن يربوا شبابهم تربية بعيدة عن التيار الاستعماري الجديد ، تربية مستقلة ، تغرس

في معلم في طريق الحرية ونارة في سبيل الجهاد ، يعترف بفضلها في قيادة الأمة نحو منطقاتها الأصلية ، كل من سار سيرة العدل والانصاف ، بطولات علائهما مسجلة ، و أعمال رجالها مجيدة ، وخدمات أفلاذها رائعة ، فإذا أخذنا شخصياتها ورجالاتها واحداً بعد واحد لا ندرى أنفسهم أفراداً أو كل واحد منهم مدرسة تستقل بأعمالها وخدماتها المتنوعة ، فليس هناك ميدان إلا وفيه رجالها ومتخرجوها يعملون في جد وإخلاص . فدار العلوم إذا كانت مدرسة جامعة للعلوم الدينية وتدريساً فهى قلعة متينة من قلعة الاسلام ، وجبهة محكمة من جبهات المقاومة والدفاع ، وقاعدة قوية للتقدم والانطلاق . و هي على أعيانها وأعاصير الزمان ووجهت إليها الهجمات والحملات من قواعد الاستعمار والاحتلال والزندقة ، ونسبت إليها التهم ، والمعايب . ولكنها ظلت صامدة تزجر كل طاغ عنيد ، وتدفع كل إعصار مريد ، ظلت منذ مائة واثنتي عشرة سنة تقوم كالصخرة على وجه المعادين ، وتحتضن كالأم الموالين والراغبين .

إن الفترة التي أعقبت هزيمة الثورة الهندية ضد الانجليز سنة ١٩٥٧م كانت فترة يأس قاتل وفترة ضيق بالغ خصت المسلمين بمرارتها البالغة ، فأحرقت يومهم وأضيعت أموالهم وأريقت دمائهم وأغلقت مدارسهم و مراكز علومهم - أحاط بهم البؤس والشقاء . وبلغ الشر متمداًه والاضطهاد مبتغاً ، وانطممت شعائر الاسلام وانحافت صوته وانتهت حميته و خيم كابوس الجهالات والبدعات والخرافات على أجواء الهند ، وتبخرت الناس في ظلمات بعضها فوق بعض ، وأطلت شمس الحضارة الاورية من الأفق الشرقي بأشعتها الاحادية التي كانت تغمر أرجاء الهند ، وتسرب اليأس والقنوط

من إعانته يتبرع بها الفقراء المسلمين المخلصون .
و كانت هذه فكرة أولى لتحرير المدارس الدينية من سيطرة الحكومة
مباشرة أو غير مباشرة أعطاها الشيخ الامام محمد قاسم النانوتوي - رحمه الله -
للسليمين ، وقد اتبعت المدارس الدينية كلها إلى هذا اليوم هذه الطريقة و سارت
عليها بنجاح .

و بدأت الدراسة قبل مائة و اثنى عشرة سنة في مسجد صغير لا يزال
قائماً بشكله الأثري ، بطالب واحد هو « محمود الحسن » و أستاذ واحد هو
« ملا قاري محمود » تحت إشراف العارف بالله مولانا رشيد أحد الكوكوهي
الذى شارك في الجهد ضد الانجليز و ساهم في تأسيس هذه المدرسة .

و قد شاء الله أن يكون أول تلميذ في هذه الدار « محمود الحسن »
زعيمًا بارزاً من زعماء الهند في جهادها ضد الانجليز طردهم من بلاده حتى
اعتقلوه في « مالطا » أثناء الحرب العالمية الأولى مع تلميذه الشيخ حسين أحد
المدنى و أتباعه الآخرين ، و ظل معتقلًا حتى سنة ١٩٢٠م و عاد إلى الهند
يتح الشعب على الجهد ضد الانجليز و قد خلع عليه المسلمين لقب « شيخ
الهند » فاشتهر به و احتل الصدارة في قيادة المسلمين .

و كان من مشيئة الله أن تترقى هذه المدرسة ، و تؤدي رسالتها كأنوى
و الذهن ، فقال في الرد عليه : إن غرضنا من التعليم هو إيجاد جيل يكون
بأohn و عنصره هندياً وبقبليه و عقله إسلامياً . توج نفسه بالعواطف الإسلامية
و تغذى روحه بالثقافة و الحضارة الإسلامية .
و قد جعل من أهم مبادئها عدم قبول أية منحة من الحكومة أو من
يصل بها ، و الاعتماد الكلى في ميزانيتها على عامة الشعب ، على الأقدار الزهيدة

فيهم روح الدين ، و كراهة المستعمر و تحفظهم من الانحلال و الذوبان في
الغرب و شخصيته .
ولا سبيل لذلك إلا مدارس دينية مستقلة في كل شئ عن الحكومة ،
و كل من له صلة بها من الأمراء و الأغنياء ، تقوم متوكلاً على الله واعتماداً
على عامة الشعب ، كي لا تفتدى إليهم يد الحاكم و سلطونه .

مدرسة دار العلوم - ديويند

كانت دار العلوم أول مدرسة قامت على هدى هذه الأسس في بلدة
ديويند التي تقع شمال دهلي ، بنحو تسعين ميلاً ، و كان بناء هذه المدرسة
تحقيقاً لأمانى مولانا الشيخ محمد قاسم النانوتوي و تحسيناً لرادته ، حيث كان
بعد فشل جيوش العلماء في آخر معركة قادها ضد الانجليز . اتخذ هذه البلدة
التي كانت لها صلة بها مركزاً لنشاطه العلمي و قاعدة لمطاردة العدو و الجماد
ضد ثقافته و أفكاره من الجبهة العلمية القوية ، و كان من العلماء المجاهدين
الأفذاذ الذين خافهم الانجليز و حسب لهم ألف حساب ، فرcker كل عناته
بتقوية هذه الجبهة العلمية الجديدة بتعاون من جماعة العلماء المخلصين ردآ على
القوله المعروفة التاريخية (للورد ميكال) « إن الغرض من خطتنا التعليمية
هو إنشاء جيل في الهند ، يكون هندي النسل و اللون ، و أوربي الفكر
و الذهن » ، فقال في الرد عليه : إن غرضنا من التعليم هو إيجاد جيل يكون
بأohn و عنصره هندياً وبقبليه و عقله إسلامياً . توج نفسه بالعواطف الإسلامية
و تغذى روحه بالثقافة و الحضارة الإسلامية .

[٤٨]

رسالة دار العلوم وأهدافها في جملتين بأن نقول: كان هدفها ورسالتها هو استعادة
مجد المسلمين الغابر واسترجاع الحكم المغصوب، والمحافظة على التعاليم الإسلامية
و العلوم النبوية ، بكل شعيبها و نواحها .

فإذا استعرضنا تاريخ هذه المدرسة و تصفحنا أوراقها وفتحنا سجل أعمالها و فضناه في ضوء أهدافها لوجدناه يستوقفنا للإعجاب و التقدير و الشكر لله - فنجح المؤسسوں و بخاصة مولانا الشيخ محمد قاسم النانوی و تلامذة في كل الهدفین ، أما الهدف الأول أى استرجاع الحكم الإسلامي من براثن الاستعمار فقد تحقق في شكل استقلال الهند و قام باکستان وبالتالي استقلال جميع الدول و الأقطار الإسلامية ، بمواصلة علمائهما جهادهم المثالي ضد المستعمر ، وتقديمهم التضحيات العظيمة في هذا السبيل بحيث لا يستطيع غيرهم أن يجاريهم في تصفياتهم ، و بطولاتهم و مواقفهم الجريئة في حاكم الانجليز و سجونهم ، وكان من أهم ما امتاز بهؤلاء الصفة أنهم لم يعوا من وراء كل ما قاموا به من مخاطرات ، و تضحيات ، و عذاب ، و تكيل ، إلا الأجر عند الله . و هذا مثال قلما يوجد له نظير ، و من أراد أن يعرف بطولات علماء دار العلوم فليطالع سيرهم و ترجمتهم و قصص حياتهم ، فإنه بذلك ليعرف أن هذه المدرسة تأسست على يد رجل انقلابي و هو الشيخ مولانا محمد قاسم النانوی لغرض انقلابي شامل ، فتخرج في مدرسته و في ضلال عطفه تلامذة أبرار اتبعوا أستاذهم و مرشدتهم ، فهذا هو شيخ الهند و تلميذه الشيخ حسين أحد المدفون وآلاف من أتباعهم و تلامذتهم الذين عرفوا بطولاتهم و طول جهادهم لا لتحرير البلاد الهندية بل لتحرير بلاد الإسلام ، و تحليص المسلمين من ربقة الاستعباد ، و ليس هناك مدرسة تقدم للجيل الإسلامي أفقاً جاماً من المجاهدين

رسالة دار العلوم و خدماتها
يتضح جلّاً ما ذكر آنفًا من أحوال سبيّة منها المسلمون في الهند بعد
الثورة و ما تحمله علماء المسلمين من المصائب و البلایا ، ولكنهم لم يستسلموا
للقوة المستعمرة الطاغية ، و لو سكتوا بعض الأيام لصالحة و حكمة ، ولكن
نار الغيرة والحبة الإسلامية كانت تتقد في قلوبهم ، فآتوا على أنفسهم إلا يقطعوا
و لا يتركوا المسلمين يقطعون و يقعون في جحائل العدو الجميلة التي نصها في
صورة المدارس العصرية الانجليزية ، لاصطياد المسلمين فكراً و عقلاً و عقيدة .
و قد بدأ الانجليز في الغزو الفكري بشدة وقوه بعد أن ثبتت أقدامهم سياسياً ،
فانشرت البعثات التبشيرية في أنحاء الهند تغري بال المسلمين و تحرفهم عن دينهم ،
و قامت طائفة من المسلمين أنصاراً للأنجليز ينادونه ويؤيدونه ليلاق في قصدهم
بعض فضلات موائدہ فيسبعوا بها و يناموا ملء أجفانهم مستريحين .

على سنة الرسول ﷺ ، وكذلك تخرج مدرسو مؤهلون بعده كثيرون استفادت و تستفيد بهم أكثر المدارس الإسلامية في الهند ، وباقستان وما جاورها ، وتفرد هذه المدرسة بأنها لم تتحجج إلى أن تطلب من غيرها الرجال لخدمتها ، ولكنها دائمًا كانت في موقف لارسال مدرسين مؤهلين لتدرس المواد الإسلامية المختلفة في الوقت الواحد ، ونرى في أكثر المدارس الإسلامية الكبرى في الهند وباقستان عدداً كبيراً من المدرسين المتخرجين من هذه الدار ، المتضلعين في العلوم العقلية والنقلية من التفسير والحديث والفقه والكلام والأصول واللغة وما شابها .

وهكذا تخرج منها علماء وخطباء عمّرت بهم المساجد في المدن والأرياف في السهول والجبال ، وكذلك رجال الافتاء البارعون الذين أصبحت فتاواهم موسوعة فقهية ، ونشرت أكثر هذه الفتاوى في صورة مجلدات مبوبة تبويها فقهياً يستفيد منها العامة والخاصة . وقد أثبتت هذه الدار قادة الفكر وأئمته الدين وزعماء السياسة ورواد الحركات ، ووفرت الوعاظ والدعاء ، إلى جانب عدد كبير من المؤلفين والكتاب والصحفيين والمناظرين الذين قاموا و يقومون في مجالاتهم بخدمات ممتازة . فليس معنى كون الرجل صحافياً مثلاً أنه لا يعني بناحية أخرى بل لا بد أن يكون هو في وقت صحافياً وفي وقت آخر زاهداً أو زعيماً أو خطيباً أو مناظراً .

وقد أحرزت دار العلوم في المقصد الثاني نجاحاً عظيماً ، دفاعاً وإقداماً ، أما إقداماً في التدريس والوعظ والإرشاد والخطابة والكتابية والتأليف والتوجيه العام أما دفاعاً فبالملاحظة حيناً وبالكتابة والتأليف حيناً آخر ، وقد قدر الله لها منذ يوم تأسيسها أن تؤدي واجبها كما شاء أن يتحقق رجالها

الغافرين الذين تورط قلوبهم بنور من الإيمان وتفوت روحهم بالانابة إلى الله ، وانتشر رعبهم في قلوب الكفار ، وعلا صوتهم على منبر المسجد و منصة الخطابة ، ودك التدريس ، وملع سيفهم في جبهة القتال ، وتخشع صوتهم في الليل ولأن جانبيهم للؤمنين وصعب على الكفار وأعداء الله ودينه ، فاض عليهم على الراغبين المنهيدين .

وأما المهدى الثاني وهو المحافظة على التعاليم الإسلامية والعلوم النبوية والبقاء على شوكة الإسلام وشعاره ، فقد تحقق هو أيضاً بشكل يدعو إلى الاستغراب فإن هذه الدار لم تغفل لحظة واحدة عن ما يقوم به الأعداء لتخديش وجه الإسلام وتشويه صورته وأضعاف تأثيره ، فكان لزاماً عليهم لاداء رسالتهم التي حملوا أعبائها على عواتقهم أن يلتزموا جانب السلب والإيجاب أو خطة الدفاع وخطة الاقدام ، وكان ضرورياً كذلك أن تكون دراسات هذه المدرسة جامعة كفيلة بتخريج علماء ورجال مؤهلين لحمل المسؤوليات المتنوعة من المستوى الأعلى إلى الأدنى ، لسد حاجات الأمة الإسلامية في دينها وعقيدتها واجتماعها وسياساتها ، وصد الاعتدامات وقف التيارات الجارفة ، فتخرج رجال جامعون بين علوم وأوصاف ، فقاموا في الوقت الواحد في كل مجال وحقل كخاصي وخير فيه ، ولو لا هذه الجامعية بين الأوصاف والعلوم لما صلح شأن الإسلام وما حفظت مساجد الله ومرافق الاعمال ، وما أمكن صون الثقافة الإسلامية من أيدي العابثين .

فقد بذلت هذه المدرسة عناتها نحو تخريج علماء ربانيين ، الصوفية والمشائخ الذين تابوا على أيديهم مآت ألف من الناس وصلاحت حاهم بواسطتهم واعتنق الكثيرون من غير المسلمين الإسلام للتأثير بسيرتهم وأخلاقهم المطبوعة

و الامكان ، و الالتزام ببيان مسالك الأئمة الاربعة - رحمهم الله - والكلام على مستدلامهم وترجح رأى الامام أبي حنيفة - رحمه الله - مع غاية الاحترام لآراء الأئمة الآخرين دون الاتجاه إلى التعصب الذي يتجاوز حدود الأدب و يحط من كرامة العلم ، ولأجل هذا التسامح المذهبي والتوصي بالذهن يقصد دار الحديث التابعة لهذه المدرسة مات من المتعطشين إلى علوم الحديث ويستقون على الفرار . ثم قاتل فتنة القاديانية تحت رعاية الانجليز الذين كانوا يوجدون كل يوم نوعاً من أنصار جدد من الخادعين والخائبين فهب علماء الدار لمقاومتها بالمعاظرات الشعيبة وعن طريق إخراج الكتب والمشورات ، ويوجد عدد كبير من الرسائل والكتيبات والمؤلفات في الرد على المسيحية والقاديانية وخاصة للشيخ العلامة أنور شاه السكري ، و العلامة حبيب الرحمن العثماني ، و هكذا كل فتنة فكرية و عقائدية قاتلت تهدى تعاليم الإسلام واجهت مقاومة ناجحة من خريجي هذه الجامعة على كل جهة وفي كل مكان .

و هكذا حافظ هؤلاء العلماء الأمانة العلمية التي ورثوها من الإمام الشافعى الله الدھلوی الذى ينتهى إليه نسبهم العلمي ، ولم تقتصر جهود علمائها في علوم ما طالبهم به الوقت والزمن وما دعت إليه الحاجة ، فهناك مؤلفات قيمة غزيرة المادة العلمية كثيرة العدد باللغة العربية والوطنية ، غدت عقول العلماء و حلبة العلم و خدمت العلم والدين . و كان مما من الله به على هذه المدرسة أنها بعد كونها حصنًا منيعًا للدين والعقيدة و ملاذاً كبيرًا لأصحابها صارت مخط أنظار الناس في الهند و خارجها في مجال خدمة الحديث النبوى الشريف ، فقد أولى مشاعر هذه المدرسة وأساتذتها عناية باللغة خدمة الحديث و تدريسه بطريقة متنوعة لتوسيع الحكم المختلفة من أصول وفروع جامعة بين الرواية والدراسة و الحرص على التطبيق بين الروايات المتعارضة بقدر الواسع لسرد التفاصيل .

في إخلاصهم و صدق عاطفهم ، فصدقوا ما عاهدوا الله عليه . و قد كانت الدعوة المسيحية حينما تأسست دار العلوم في ديويند تنشر بسرعة في الهند ، وأرسلت الحكومة البريطانية كثيراً من الأساقفة والدعاة المسيحيين إلى الهند لتجريف المسلمين عن عقيدتهم ، فطارد مولانا الشيخ رحمة الله السكرياني و مولانا محمد قاسم النانوتوي وجماعة أخرى من هذه المدرسة مطاردة شديدة وأجبروهم على الفرار . ثم قاتلت فتنة القاديانية تحت رعاية الانجليز الذين كانوا يوجدون كل يوم نوعاً من أنصار جدد من الخادعين والخائبين فهب علماء الدار لمقاومتها بالمعاظرات الشعيبة وعن طريق إخراج الكتب والمشورات ، ويوجد عدد كبير من الرسائل والكتيبات والمؤلفات في الرد على المسيحية والقاديانية وخاصة للشيخ العلامة أنور شاه السكري ، و العلامة حبيب الرحمن العثماني ، و هكذا كل فتنة فكرية و عقائدية قاتلت تهدى تعاليم الإسلام واجهت مقاومة ناجحة من خريجي هذه الجامعة على كل جهة وفي كل مكان .

و أما إذا تناولنا ناحية الكتابة والتأليف فنجد كذلك رجالاً ممتازين عملوا ما طالبهم به الوقت والزمن وما دعت إليه الحاجة ، فهناك مؤلفات قيمة غزيرة المادة العلمية كثيرة العدد باللغة العربية والوطنية ، غدت عقول العلماء و حلبة العلم و خدمت العلم والدين . و كان مما من الله به على هذه المدرسة أنها بعد كونها حصنًا منيعًا للدين والعقيدة و ملاذاً كبيرًا لأصحابها صارت مخط أنظار الناس في الهند و خارجها في مجال خدمة الحديث النبوى الشريف ، فقد أولى مشاعر هذه المدرسة وأساتذتها عناية باللغة خدمة الحديث و تدريسه بطريقة متنوعة لتوسيع الحكم المختلفة من أصول وفروع جامعة بين الرواية والدراسة و الحرص على التطبيق بين الروايات المتعارضة بقدر الواسع

السيد مرتضى الزيدى هندي

لا يحوم حوله شك



بِقَلْمِ الْمُحَدِّثِ الْكَبِيرِ فَضْيَلَةِ الشَّيْخِ حَبِيبِ الرَّحْمَنِ الْأَعْظَمِ

من المؤسف جداً أن السيد عبد السلام أحمد فراج في مقدمته التي قدّمتها
لأهداف و أغراض معينة شاملة تكفل حماية الدين و نصرته و تضمن نشر
علوم الإسلام و ازدهاره ، قد أدت رسالتها كما كان المطلوب منها و حققت
أهدافها كما كان المنوّع منها بل فوق ما كان يرجى و يومنا .

قدّرسة كانت بدايتها بتلميذ واحد و أستاذ واحد في مكان متواضع
اعتماداً على الله و ثقة بنصرته ترقى و تقدّمت بسرعة مذهلة و تحولت إلى
جامعة إسلامية كبيرة في شبه القارة الهندية و الباكستانية بل في وسط آسيا ،
بما حوتة من دراسات شاملة لأصول الدين و فروعه بجميع العلوم المتعلقة ،
ولاقت إجلالاً و احتراماً وقداسة في الشعب المسلم فلا تعتمد ميزانيتها الضخمة
إلا على التبرعات البسيطة الشعيبة بعد التوكل على الله .

و الحقيقة التي لا يحوم حول ثبوتها و جلannya شك ، أن السيد مرتضى
هندي ، استوطن عشيرته «بلجرام» الهند ، منذ قرابة خمسة قرون ، وإن الذين
ترجموا له من أهل الهند فيهم من رأى أباه و صحب جده ، وهو نسيمه و بليده
و فيهم من عاصره .

و السيد غلام علي بلجرامي و هو السيد مرتضى كلّاهما يتصل نسبه
بالسيد محمد صغرى الواسطي ثم البلجرامي ، و إن السيد غلام علي قد صحّ
السيد محمد قادرى جد السيد مرتضى و سمع منه ، و توفي السيد قادرى في سنة

و يعني غلام على (بهذه الأيام) ما قبل سنة ست وستين (١١٦٦)
فانه فرغ من تأليف مآثر الكرام في هذه السنة .

فلينظر الأستاذ الحق بامعان هل يتحدث غلام على عن مرتضى آخر
غير الزيدى ؟

و أقول بعد ذلك إن الأستاذ عبد السلام : قد يجمل أن في مؤلفات
الزيدى برنامجا له لكن الأستاذ لم يعثر عليه ، ولو عثر لعلم أنه ألف هذا
البرنامج كاجازة حديثة لأن أخيه السيد باسط على بن سيد على بن سيد محمد
ابن سيد قادرى ، و باسط على بسكراوى ، و برنامج الزيدى قد ظفرت به في
الكتبة الأصفية بـ (حيدر آباد الديك) و قبل قد عثر عليه السيد صديق
حسن و غيره .

فعلم بهذا كله أن الزيدى هندى الأصل ، تولد من أبوين هنديين و إن
إنكار هذه الحقيقة سفطة والشك فيها ارتياط في رؤية الشمس في وضع النهار .
وتبيّن من خلال ما حكينا عن مؤرخ معاصر له أنه قد تجول في بلاد الهند
« سندھ » و « خير آباد » و « دھلی » و « سورت » قبل رحلته إلى الحجاز
و إن الأستاذ عبد السلام خطئ في ظنه أن الزيدى لعله سافر إلى دھلی بعد
تعلمه في زید .

وليت شعرى كيف استساغ الأستاذ هذا و هو يعرف حق المعرفة أن
الزيدى كان سنة ٦٣ في المدينة و في سنة ٦٤ في مكة ، و انتقل بعد ذلك
إلى زید فأقام هناك إلى سنة ٦٦ ، ثم عاد في تلك السنة إلى الحجاز و نزل
بالطائف ثم حج و زار ثم سافر إلى مصر في سنة ٦٧ ، أفي هذا البيان
ما يدل على أن الزيدى سافر إلى دھلی بعد ما تعلم في زید ، ألم فيه ما ينفي ذلك !

١١٤٥ ، و غلام على ابن تسع و عشرين (فانه ولد سنة ١١١٦) والسيد
مرتضى ولد في السنة التي مات فيها جده .

و غلام على هو الذى يحكي عنه صديق حسن في أبجد العلوم و أحباب
البلاء أن السيد مرتضى حفيد السيد محمد قادرى و إنه أتم دراسة الكتب
العربية و وفق لزيارة الحرمين الشريفين و هو حديث .

ويقول الشيخ وجيه الدين صاحب البحر الزخار و هو عصريه أنه ولد
بحرسه بلكرام سنة ١١٤٥ و اشتغل بالعلم على أساتذة بلده زمانا ، ثم خرج
منها بجاه إلى (سندھ) و (خير آباد) و قرأ على أساتذتها ثم سافر إلى
دھلی وأخذ عن الشيخ ولی الله بن عبد الرحيم الذهلوی ثم ذهب إلى (سورت)
وأخذ عن الشيخ خیر الدین بن زاهد السوری و أقام عنده سنة ثم سافر
إلى الحجاز .

والشيخ وجيه الدين أقام في تأليف البحر الزخار خمس سنوات منذ سنة
١٢٠١ إلى سنة ١٢٠٥ وهي سنة وفاة السيد مرتضى
وقد حكى السيد عبد الحى في « زرفة الخواطر » ما حكىته عن وجيه ،
والسيد عبد الحى له الكعب العالى في معرفة تراجم علماء الهند ، وأعيانها ،
وتأليفه في هذا الباب أجمع تأليف .

ثم إن غلام على لم يقتصر على قوله : إن المرتضى وفق لزيارة الحرمين
في حداثة سنہ بل زاد على ذلك : إنه أخذ علم الحديث في الأماكن المقدسة ،
و إنه في هذه الأيام مقيم في زید (البین) مشتغل بسماع الحديث و قراءة
كتبه عند الشيخ عبد الخالق الزيدى بارك الله في عمره و أنعم عليه بالرفعة
في الدين .

(الواسطى أصلاً ، و البكرى مولداً و منشاً) ج ٢ ص ٢٩١ ، و نحوه
في سبحة المرجان ص ١١٨ - ويقول في ترجمة السيد محمد صغرى البكرى :
إن الحسينيين من بـلـكـرـامـ كـلـمـ يـنـتـعـونـ إـلـىـ السـيـدـ مـحـمـدـ صـغـرـىـ ثـمـ سـاقـ نـسـهـ إـلـىـ
الـسـيـدـ عـلـىـ العـرـاقـ بـنـ حـسـينـ بـنـ عـلـىـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ عـيسـىـ مـؤـتـمـ الـاشـبـالـ (مـآـثـرـ
الـكـرـامـ ١١-١) فـكـلـمـ عـرـاقـيـوـنـ أـصـلـاـ ، هـنـدـيـوـنـ مـوـلـدـاـ وـ مـوـطـنـاـ .

و أما قول الأستاذ عبد السلام : إن الزيدى إن صح أنه ولد هناك
(أى في الهند) فان بقائه فيها لفترة وجيزة ، فعجيب جداً لأنه أفر على نفسه
في مقدمته أن الزيدى سافر إلى الحجاز وهو ابن ثمانى عشرة سنة ، أفهمه
المدة فترة وجيزة ؟ أم يرى الأستاذ أن الزيدى ولد في الهند (على فرض
صحته) ثم انتقل بعد فترة وجيزة إلى مكان خارج الهند ثم سافر إلى الحجاز ؟
فهل وجد الأستاذ نصاً بذلك أم هو ظنه من عند نفسه دون أن يجد
دليل يمسك به ، وليت شعرى ما الذي أغوى الأستاذ بذلك الرعم الموهوم ؟
أليس من الانصاف أن الأستاذ حين فرض صحة مولده في الهند ، اعتماداً على
قول غلام على أو غيره أن يعتمدهم و يصدقهم في قوله أنه تجوّل في الهند
لطلب العلم و أقام في سورت سنة ثم سافر منها إلى الحجاز وأنه يقى في الهند
بعد بلوغ رسده برهة طويلة يكمل فيها الطالب عنده دراسته و يحصل له سند
الفراغ في العلوم العقلية و النقلية .

و أما أن الزيدى لم يذكر في مستدركاته على القاموس بلـكـرـامـ ولاـنـرـ
كتـكـ مع أنه ذكر البلاد المصرية في كثير من الموارض فـكـانـ مـاـذـاـ ؟ أـيجـوزـ
من واسط العراق و هـمـ هـنـدـيـوـنـ قـطـعاـ ، وـ هـذـاـ السـيـدـ غـلـامـ عـلـىـ يـقـولـ حينـ
يترجم نفسه في مـآـثـرـ الـكـرـامـ (الواسطى أـصـلـاـ وـ الـبـكـرـىـ مـنـشـاـ) ج ١ ص ١٦١

و فوق هذا كله أن الزيدى نفسه صرخ في برنامجه أنه أخذ الطريقة
القشنبية عن الشيخ ولـيـ اللهـ فيـ سـنـةـ ١١٥٨ـ ، وـ نـصـ كـلـامـهـ وـ أـخـذـهـ عنـ شـيخـيـ
الـعـالـمـ الـمـحـدـثـ السـيـدـ شـاهـ ولـيـ اللهـ الـدـهـلـوـيـ ، حـضـرـتـ فـيـ مـنـزـلـهـ بـدـهـلـيـ ، وـ سـمعـتـ
مـنـ الـحـدـيـثـ وـ لـقـنـىـ الـذـكـرـ ، وـ أـجـازـفـ ، وـ ذـلـكـ فـيـ سـنـةـ ١١٥٨ـ (صـ ٢٦ـ) ،
وـ قـالـ فـيـ الـطـرـيقـةـ الـجـشـتـيـةـ : أـخـذـهـ عنـ شـيخـيـ السـيـدـ يـسـينـ الـعـبـاسـيـ زـيـلـ
أـكـبـرـ آـبـادـ ، لـقـنـىـ الـذـكـرـ ، وـ أـلـبـسـيـ الـخـرـقـةـ ، وـ أـجـازـفـ ، وـ ذـلـكـ فـيـ سـنـةـ ١١٦٠ـ .
فالـزـيدـيـ يـقـرـ عـلـىـ نـفـسـهـ أـنـ هـذـاـ كـلـهـ كـانـ قـبـلـ أـنـ يـسـافـرـ إـلـىـ الـحـجازـ ،
وـ يـتـعـلـمـ فـيـ زـيـدـ .

وـ أـمـاـ قولـ الأـسـتـاذـ عـبـدـ السـلـامـ : إـنـ الزـيدـيـ عـدـدـ فـيـ مـادـةـ (وـسـطـ)
عـدـةـ أـماـكـنـ وـ لـمـ يـشـرـ فـيـ وـاحـدـ مـنـهـ أـصـلـهـ مـنـهـ بـلـ يـعـتـرـفـ فـيـ مـكـتـوبـ لـهـ
أـنـ أـصـلـهـ مـنـ عـرـاقـ ، فـأـقـولـ إـنـ الزـيدـيـ يـنـسـبـ نـفـسـهـ وـاسـطـيـاـ فـيـ نـفـسـ
الـمـكـتـوبـ الـذـيـ يـدـعـىـ الـأـسـتـاذـ إـنـهـ يـعـتـرـفـ فـيـ بـكـونـهـ عـرـاقـ الـأـصـلـ ، وـ لـأـدـرـىـ
كـيفـ خـفـيـ ذـلـكـ عـلـىـ الـأـسـتـاذـ ، وـ قـدـ نـقـلـ هـوـ نـفـسـهـ قولـ الزـيدـيـ (الحـسـينـيـ
الـوـاسـطـيـ عـرـاقـ الـأـصـلـ الزـيدـيـ زـيـلـ مـصـرـ) وـ كـذـاـ حـكـيـ عـنـ الـكـتـاتـبـ عـنـ
عـنـ الزـيدـيـ أـنـهـ يـصـفـ نـفـسـهـ فـيـ الـمـعـجمـ الصـغـيرـ (بالـحـسـينـيـ الـوـاسـطـيـ) فالـزـيدـيـ
وـ إـنـ لـمـ يـشـرـ فـيـ مـادـةـ (وـسـطـ) إـلـىـ أـصـلـهـ مـنـ إـلـهـيـ الـأـمـاـكـنـ الـمـشـتـقـةـ أـسـمـاؤـهـ
مـنـ هـذـهـ مـادـةـ فـقـدـ صـرـحـ بـكـونـهـ وـاسـطـيـاـ فـيـ هـذـيـنـ النـصـينـ .

وـ إـنـ كـانـ الـأـسـتـاذـ يـسـتـنـجـ مـنـ كـوـنـهـ عـرـاقـ الـأـصـلـ بـنـقـيـ كـوـنـهـ هـنـدـيـاـ فـهـذـاـ
استـنـاجـ غـيرـ صـحـيـحـ ، أـلـاـ تـرـىـ أـنـ سـادـاتـ بـلـكـرـامـ بـحـذاـفـيرـهـ يـدـعـونـ أـنـ أـصـلـهـ
مـنـ وـاسـطـ عـرـاقـ وـ هـمـ هـنـدـيـوـنـ قـطـعاـ ، وـ هـذـاـ السـيـدـ غـلـامـ عـلـىـ يـقـولـ حينـ
يـتـرـجمـ نـفـسـهـ فـيـ مـآـثـرـ الـكـرـامـ (الوـاسـطـيـ أـصـلـاـ وـ الـبـكـرـىـ مـنـشـاـ) ج ١ ص ١٦١

و كانت عاصمة الدولة المغولية في عهد الامبراطور أكبر ، و هذا التزيل
بـ أكـبرـآـبـادـ قدـ لـقـيـهـ الزـيـدـيـ كـاـ صـرـحـ بـهـ الأـسـتـاذـ ، فـقـبـلـ أـنـ أـخـذـ الـعـلـمـ عـنـهـ فـيـ
مـدـيـنـةـ كـبـيرـةـ بـالـهـنـدـ ، مـنـهـ شـيـخـنـاـ الـإـلـامـ الـمـحـدـثـ الـمـعـمـرـ صـفـةـ اللهـ (١)ـ بـنـ الـهـدـادـ
الـخـنـيـ روـيـ عـنـ الشـيـخـ عـبـدـ اللهـ بـنـ سـالـمـ الـبـصـرـيـ وـ غـيـرـهـ (تـاجـ الـعـرـوـسـ ١١ـ -
٢٥ـ طـبـعـةـ الـكـوـيـتـ)ـ .

وـ آـنـ (ـأـكـبـرـآـبـادـيـسـ)ـ بـلـدـ فـيـ خـارـجـ الـهـنـدـ .
وـ فـيـ اـسـتـاجـ الـأـسـتـاذـ مـنـ هـذـاـ النـصـ غـيـرـ مـاـذـكـرـنـاـ آـنـاـ ، فـنـهـ آـنـ يـزـعـمـ
(ـأـنـ الـأـوـلـ مـنـهـاـ نـزـيلـ مـكـهـ)ـ وـ نـزـيلـ مـكـهـ فـيـ النـصـ إـنـاـ هـوـ الـثـانـيـ أـعـنـ
نـورـ الـحـقـ بـنـ عـبـدـ اللهـ ، وـ مـنـهـ آـنـ يـزـعـمـ (ـأـنـ الـثـانـيـ نـزـيلـ أـكـبـرـآـبـادـيـسـ)
وـ بـمـرـأـيـ الـعـيـنـ مـنـكـ آـنـ (ـنـزـيلـ أـكـبـرـآـبـادـيـسـ)ـ فـيـ النـصـ الـمـذـكـورـ إـنـاـ هـوـ الـرـابـعـ
أـيـ يـاسـينـ الـعـبـاسـيـ .

فـكـانـ الـأـسـتـاذـ لـمـ يـقـرـأـ النـصـ بـالـدـقـقـةـ وـ لـمـ يـسـتـنـجـ مـنـهـ بـعـدـ أـنـ يـجـدـ تـفـهـمـهـ .
وـ أـعـودـ فـأـقـوـلـ إـنـ كـانـ فـيـ ذـكـرـ بـلـادـ الـهـنـدـ ، وـ جـبـالـهـ ، وـ أـمـهـارـهـ
دـلـالـةـ عـلـىـ كـوـنـهـ هـنـديـاـ ، فـقـدـ قـدـمـتـ آـنـ ذـكـرـ خـيـرـآـبـادـ ، وـ أـقـوـلـ آـنـ آـنـ ذـكـرـ
(ـبـنـورـ)ـ مـسـتـدـرـكـاـ عـلـىـ الـقـامـوسـ فـقـالـ :ـ «ـ بـنـورـ كـوـدـ تـورـ »ـ بـلـدـ بـالـهـنـدـ .ـ مـنـهـ
الـشـيـخـ آـدـمـ الـبـنـورـيـ ، تـلـيـدـ أـبـيـ الـعـبـاسـ أـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ الـأـحـدـ الـفـارـوقـ (ـيـعـنـيـ بـهـ)
الـشـيـخـ الـمـجـدـ السـرـهـنـدـيـ)ـ .

وـ ذـكـرـ الـفـيـرـوـزـآـبـادـ فـيـ مـادـةـ (ـبـسـرـ)ـ إـنـ الـبـسـارـةـ بـالـكـسـرـ مـطـرـ يـدـومـ
عـلـىـ السـنـدـ وـ الـهـنـدـ فـيـ الصـيفـ لـاـ يـقـلـ سـاعـةـ - فـزـادـ عـلـيـهـ الـزـيـدـيـ - وـ قـالـ:
قـلـتـ وـ هـمـ يـسـمـونـهـ الـبـرـسـاـةـ كـاـ هوـ مـشـهـورـ أـلـسـنـتـهـ - وـ فـيـ هـذـاـ مـاـ يـدـلـ دـلـالـةـ
وـ اـضـحـةـ عـلـىـ آـنـ الـزـيـدـيـ عـاـشـ أـهـلـ الـهـنـدـ ، وـ عـاـشـ فـيـهـمـ طـوـيـلـاـ ، وـ عـرـفـ

لـغـتـهـمـ مـعـرـفـةـ دـقـيقـةـ .

مـدـيـنـةـ كـبـيرـةـ بـالـهـنـدـ ، مـنـهـ شـيـخـنـاـ الـإـلـامـ الـمـحـدـثـ الـمـعـمـرـ صـفـةـ اللهـ (١)ـ بـنـ الـهـدـادـ
الـخـنـيـ روـيـ عـنـ الشـيـخـ عـبـدـ اللهـ بـنـ سـالـمـ الـبـصـرـيـ وـ غـيـرـهـ (تـاجـ الـعـرـوـسـ ١١ـ -
٢٥ـ طـبـعـةـ الـكـوـيـتـ)ـ .

وـ كـاـنـ فـيـهـ دـلـلاـ علىـ آـنـ يـعـرـفـ الـهـنـدـ فـيـهـ دـلـلـاـ أـيـضاـ عـلـىـ آـنـ طـلـبـ الـعـلـمـ
فـيـهـ ، وـ تـلـمـذـ عـلـىـ الشـيـخـ صـفـةـ اللهـ وـ هـوـ فـيـ الـهـنـدـ ، فـاـنـهـ لـاـ يـمـكـنـهـ أـنـ يـجـمـعـ
بـهـ إـلـاـ فـيـ الـهـنـدـ ، لـأـنـ الشـيـخـ صـفـةـ اللهـ إـنـمـاـ سـافـرـ إـلـىـ الـحـجـازـ فـيـ سـنـةـ أـرـبـعـ
وـ عـشـرـيـنـ وـمـائـةـ وـأـلـفـ ، وـ أـقـامـ هـنـاكـ حـتـىـ حـجـ حـلـلـةـ فـيـ سـنـةـ سـتـ وـعـشـرـيـنـ (٢)
وـ السـيـدـ مـرـتضـيـ لـمـ يـوـلدـ بـعـدـ ، وـ الشـيـخـ صـفـةـ اللهـ لـمـ يـغـادـرـ الـهـنـدـ بـعـدـ ذـلـكـ ،
فـلـمـ يـقـ إـلـاـ أـنـ يـجـمـعـ بـهـ الـزـيـدـيـ فـيـ الـهـنـدـ - وـ فـيـهـ أـيـضاـ مـاـ يـدـلـ دـلـالـةـ وـاضـحةـ

عـلـىـ آـنـ الـزـيـدـيـ يـقـ فـيـ الـهـنـدـ بـرـهـةـ غـيـرـ قـصـيرـةـ ، وـ الـزـيـدـيـ وـ إـنـ لـمـ يـذـكـرـ
فـقـوـجـ ، لـأـنـ وـجـدـ الـقـامـوسـ قـدـ ذـكـرـهـ ، لـكـنـهـ زـادـ عـلـيـهـ فـيـ وـصـفـهـ مـاـيـدـلـ عـلـىـ
آـنـ شـاهـدـهـ ، فـقـالـ :ـ (ـ تـجـلـبـ إـلـيـهاـ الـبـصـانـ الـفـاخـرـةـ)ـ قـالـهـ مـنـ عـنـدـهـ لـمـ يـحـكـهـ
عـنـ غـيرـهـ ، وـمـاـ يـدـلـ عـلـىـ آـنـ الـزـيـدـيـ تـلـمـذـ الـعـلـمـ فـيـ الـهـنـدـ مـاـحـكـاهـ الـأـسـتـاذـ الـمـحـقـقـ
عـنـ الـكـتـانـيـ أـنـ نـقـلـ نـصـاـ مـنـ مـعـجمـ الـزـيـدـيـ يـعـدـ فـيـهـ الـزـيـدـيـ مـنـ أـجـازـوـهـ مـنـ
لـقـيـمـ ، وـمـ وـمـ بـنـ فـاـخـرـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ يـحـيـيـ الـعـبـاسـيـ ، وـ نـورـ الـحـقـ بـنـ عـبـدـ
الـلـهـ الـحـسـنـيـ نـزـيلـ مـكـهـ ... وـ وـلـيـ اللـهـ الدـهـلـوـيـ يـاسـينـ الـعـبـاسـيـ نـزـيلـ أـكـبـرـآـبـادـيـسـ
(ـكـداـ)ـ (ـ مـقـدـمـةـ صـذـىـ)ـ هـكـذاـ نـقـلـ الـأـسـتـاذـ عـنـ كـتـبـ الـكـتـانـيـ

وـ الصـوـابـ (ـ نـزـيلـ أـكـبـرـآـبـادـ)ـ وـ أـكـبـرـآـبـادـ مـنـ أـمـهـارـ الـهـنـدـ وـ أـعـظـمـهـ
(ـ ١ـ)ـ هـذـاـ هـوـ الصـوـابـ كـاـ فـيـ سـبـحـةـ الـمـرـجـانـ ، وـ مـأـثـرـ الـكـرـامـ وـ زـرـهـ الـخـواـطـرـ
وـ غـيـرـ ذـلـكـ وـقـدـ حـرـفـهـ الـقـاتـمـ بـتـحـقـيقـ هـذـاـ جـزـءـ مـنـ التـاجـ فـأـثـبـتـ
(ـ حـنـعـةـ اللـهـ بـالـنـونـ وـ الـعـيـنـ)ـ .

(ـ ٢ـ)ـ زـرـهـ الـخـواـطـرـ ٦ـ - ١١٦ـ ، وـ الـرـسـالـةـ الـمـفـرـدـةـ فـيـ تـرـجـمـةـ الـحـاجـ صـفـةـ اللـهـ .

حول تعدد الزوجات



الدكتور حسن سعيد الكرمي

و كما جاء في حديث آخر : « عذبت امرأة في هرة حبسها حتى ماتت فلاهي أطعمتها و سقها إذ حبسها ، ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض » فإذا كان القلم محراً بالنسبة إلى قطة ، فكيف يكون بالنسبة إلى إنسانة ، زوجة كانت أو أمة أو أى فرد آخر من عامة الناس . و يظهر من ذلك أن الأمر بالعدل بكل صورة أمر مطلق لا استثناء فيه ولا قيد عليه في حدود الاستطاعة .

و أنه ذروة سلام التقوى ، فاتقوا الله ما استطعتم .. و عدل ساعة .. الحديث الشريف . و خرج الشيخ عبد العزيز من هذه المقدمة وقال ، و عليه فضيلة الشيخ عبد العزيز على المطوع عن تعدد الزوجات و يذكر القراءة فزيادة النسبة العددية للنساء على الرجال ، و تكاثر اليتامى نتيجة لذلك هو الأصل في إباحة تعدد الزوجات ، و ليس صححأ أن الفعل بين الزوجات هو أصل الإباحة ، ذلك لأن إقامة العدل مستحبة بين زوجتين أو أكثر ، وأن العدل في الميل ليس في مقدور الإنسان . و كتاب الله يؤكّد استحالة قيام العدل بين النساء لقوله جلت عظمته : « و لن تستطعوا أن تعدلوا بين هذا العدل بين النساء » . و إن تستطعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرّضتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالملعقة ، و التعبير بالفظ (إن) هو للتّأييد أي لن تستطعوا تحقيق هذه العدالة بين زوجاتكم أبداً . و قد بين هذا حديث رسول الله عليه السلام : (اللهم هذا قسمٌ فيها أملاك ، فلا تؤاخذني فيما تملك و لا أملاك) ثم قال الشيخ عبد العزيز فالمقصود إذن بإقامة العدل ، كما يظهر من الآية الكريمة هو العدل الشامل بما في ذلك العدل بين اليتامى وأمهاتهم ، وإحلالهم المكان اللائق و ذلك بانقادهم من الضياع و الحرمان . و إذا كان الأمر كذلك فيكون ارتفاع نسبة النساء على الرجال هو المرجع و الفيصل في مثل هذا الموقف و ليست القدرة على العدل بين النساء . سبباً في كل شيء ، وقد ورد في الحديث الشريف ، أن في كل كبد رطبة أجراً ، و أن العدد المذكور في مسند سورة النساء - مشروط بالفسط في اليتامى

يذكر حضرات القراء الكرام أنني علقت في مقالى الأول عن تعدد الزوجات (العدد الثاني من المجلد الثامن عشر - ربيع الأول ١٣٩٤) على مقال فضيلة الشيخ عبد العزيز على المطوع عن تعدد الزوجات و يذكر القراءة أيضاً أن تعليق في مقالى الأول المشار إليه كان منصباً على الفكرة الفاسدة التي فتها الشيخ عبد العزيز عن النسبة بين الذكور و الإناث لتكون هذه النسبة مقاييساً ترجع إليه عند النظر في تعدد الزوجات ، والذى فتق هذه الفكرة للشيخ عبد العزيز هو نظر في مسألة العدل في الزواج أولاً ، وقال - إنه مادامت إقامة العدل بين الزوجات أمراً مستحيلاً ، فإن التعدد كذلك يكون أمراً مستحيلاً لارتباطه بأمر مستحيلاً - و لكنه فكر في أمر هذا العدل و أمر اليتامى و قضية تعدد الزوجات خرج بفكرة تين هما في غاية الأهمية و في متنى بعد النظر و تقى الحقائق ، وكانت الفكرة الأولى هي فكرة النسبة بين الرجال و النساء في المجتمع . أما الفكرة الثانية فهي فكرة العدل الاجتماعي . و إليكم ما قاله الشيخ عبد العزيز في هذا الصدد (لو كان في الاكتفاء بزوجة واحدة تحمل من العدل - لكن ذلك معناه إباحة الظلم مع الزوجة الواحدة أو الإمام وهذا ما ترفع آية الله عن أن تأمر به أو تريده) كأن العدل واجب في كل شيء ، وقد ورد في الحديث الشريف ، أن في كل كبد رطبة أجراً ،

منتهى الأنانية و الظلم و عدم الرعاية و الاخلاط بالذمam ، و ما يذكر في هذا الشأن أن اثنين من الصحابة أرادا تطلق زوجتيهما من غير مبرر ظاهر، فقال النبي ﷺ لهم : إن طلاق أبي مسعود لام مسعود حوب ، و كذلك طلاق أبي سليم لام سليم حوب ، و لم يكن تعبير الرسول ﷺ بالفظ (حوب) الذي استعمله القرآن - من باب المصادفة بل لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى « إن هو إلا وحي يوحى عليه شديد القوى » .

أى إذا كان العدل الاجتماعي لا يسمح للفرد بأكثر من واحدة في حالة قلة النساء - فإنه لا يسمح في الوقت نفسه باستبدال زوجة خبست في نظره بأخرى ، يرى فيها ما يطيب له و يشتهي .

و يدخل تحت فكرة العدالة الاجتماعية فيما يتعلق بالزواج - حالات أخرى ، كأن ينظر الإنسان إلى حاجة إنسان آخر ، فإذا وجدتها أكثر من حاجته ، فضلها على نفسه في الزواج ، و هذا ضرب من الخلق الذي يسمى بالانسان إلى درجة الايثار ، و رضى الله سبحانه على من قال فيهم : « و يؤثرون على أنفسهم و لو كان بهم خصاصة » ، أى حاجة ملحة ، والمهم في الأمر أن فكرة العدل الاجتماعي التي استنبطها الشيخ عبد العزيز فكرة إسلامية أصلية ، و لكن الكثيرين من الباحثين لم ينتبهوا إليها ، بل إنني لم أجده ، على ما ذكر .

و أبدأ بحث فيها . و أهمية هذه الفكرة التي لم تظهر في أوربا إلا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، أول ما ظهرت - أنها تتبع من الأفراد جماعة حوباً كبيراً ، فلا يجوز للرجل أن يترك إمرأة بهذه المسؤولية بعد أن عاش معها وعاشرها ، لا لشيء إلا لأنه يرغب في زوجة أخرى ، أو أنه يتخل عنها و هي في مخدة ، كانت تصاب بمرض مثلاً ، و بعضهم يطلق المريضة لأنه لا يريد أن يتحمل عناء السهر على زوجها في مرضها و عبء العناية بها ، وهذا مصلحة الفرد ، كما أن إصلاح المجتمع في كثير من الحالات مفضل على المصلحة

فرأى الشيخ عبد العزيز في العدل ، هو العدل الاجتماعي الشامل وليس العدل بين الزوجات ، و من ذلك أن يشعر الفرد بواجبه نحو مجتمعه وأمته فيتقدم لمساعدة الأرامل و اليتامى بالرعاية قدر المستطاع في حالة انشغال الأمة أو الجماعة بالجهاد ، فإذا عجزت الأفراد و الجماعات عن تدبير عيش مناسب للأرامل و اليتامى ، و حب توزيعهم بالعدل على ذوى الأسر لا يواهتم في حدود الامكانيات ، مثني و ثلاث و رباع كحل لهذه المشكلة الاجتماعية الطارئة ، حتى لا يختل التوازن الخالق و يدب الفساد إلى جسم المجتمع .

و التوزيع في مثل هذه الحالات - تفيذ لأمر الله في كتابه الكريم حيث يقول سبحانه : « و إن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثني و ثلاث و رباع » ، و يفهم من رأى الشيخ عبد العزيز : أن خاتم الآية الكريمة في قوله سبحانه : « و إن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم » ، تعنى العدل مع الآخرين .

في حالة قلة نسبة النساء - وليس مجرد العدل مع الزوجات . إذ ليس من العدل الاجتماعي أن يتزوج الغني بعدد من النساء و يحرم الفقير حتى من زوجة واحدة . و قد ذهب الشيخ عبد العزيز إلى أكثر من ذلك استنباطاً من القرآن الكريم و السنة النبوية - بعدم إباحة طلاق الواحدة ثم الزواج بأخرى و هكذا ، على قاعدة « و لا تتبدلوا الحبيث بالطيف » . إنما كان حوباً كبيراً ، فلا يجوز للرجل أن يترك إمرأة بهذه المسؤولية بعد أن عاش معها لا لشيء إلا لأنه يرغب في زوجة أخرى ، أو أنه يتخل عنها لا يريد أن يتحمل عناء السهر على زوجها في مرضها و عبء العناية بها ، وهذا

فالعدالة الاجتماعية التي بحث عنها الشيخ عبد العزيز هي الأساس الأول لبقاء المجتمع وهي من أهم الضروريات له ، و من هنا كان تقديرنا لهذه الفكرة التي كشف عنها الشيخ عبد العزيز في مقاله كما ذكرنا . و في هذه الفكرة تفسيرات و تعميلات عديدة ، بحسب مقتضيات كل عصر و مفهومات الناس في ذلك العصر ، فن الناحية الدينية تكون العدالة الاجتماعية - اتباع أوامر الدين و الشريعة ، بل إن حسن الأخلاق و حسن المعاملة بين الناس لا تقوم إلا على هذه الأوامر وهذا صحيح ، ولا سيما فيما يتعلق بالديانات الأخرى غير فالمجتمع الذي نقصده هنا هو المجتمع المنظم في تشكيله من أفراد يجمع بينهم رباط الوحدة القائمة على التاريخ الواحد والغايات الواحدة ، وقوام هذا المجتمع ذو العدالة ، ولا يكون المجتمع من غير عدالة ، وقولنا عن المجتمع أنه المجتمع المنظم يخرج منه الجماهير التي تجتمع عرضاً أو لغرض مؤقت ، ولاشك أن المجتمع الذي أوجده الإسلام مجتمع منظم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً وفيه تراحم بين الأفراد كالجسم الواحد إذا اشتكي منه عضو تداعى له سائر الجسم ، و إذا علمنا أن المجتمع الإسلامي ولا سيما في أول عهده ، كان يراد به شيئاً : الانتظام أولاً في ظل الدعوة الإسلامية ، والثاني العدالة ، و لا حاجة إلى أن أبين صحة هذين الشيئين في الأحاديث الشريفة والآيات الكريمة ، فهي كثيرة ، والعدالة هنا ليست العدالة المطلقة التي لها مفهوم عام ينطبق على كل شيء ، و لها صورة معنوية في الذهن تعتبر من الكلمات في عرف المنطق . و لكن إذا طبقت هذه العدالة على ناحية من الحياة سميت باسم تلك الناحية ، فالعدالة إذا طبقت على المجتمع سميت بالعدالة الاجتماعية أو العدالة بين الناس .

إليه البشر في الوقت الحاضر .
ويجب أن نذكر أولاً أن العدل و العدالة مفهومان متقاربان .. ولم يأت ذكر العدالة في القرآن الكريم وإنما الذي جاء في آيات عديدة ، ذكر العدل . ورأيت في كتاب المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني قوله إن العدالة معناها المساواة و أن العدل هو التقسيط على سواء . و قال إن العدل ضربان : مطلق يقتضى العقل حسنه و لا يكون في شيء من الأزمنة منسوحاً و لا يوصف بالاعتداء بوجهه نحو الإحسان إلى من أحسن إليك ، و كف الأذية عنمن كف أذاه عنك ، و عدل يعرف كونه عدلاً بالشرع ، و يمكن أن يكون منسوحاً في بعض الأزمنة كالقصاص وأروش الجنائز . وهذا النحو

الاحسان و إنما هو أمور مقررة مبنية على طبيعة الإنسان . و هذا لا ينطبق على فكرة العدالة التي أوردها الشيخ عبد العزيز أيضاً ، و رأيت في كتاب *Saciac Ethice* لمؤلفه *Missner* أن العدل المطلق لا وجود له و لكن العدل النسبي موجود و يقول *Vecchio* إن جوهر العدل هو أن يشعر الفرد بأنه واحد بين آخرين في المجتمع واحد وأنه يتمنى إلى هذا المجتمع بروابط اجتماعية ، و أنه يحترم هذه الروابط . و في هذا التعريف شيء كثير مما أراده الشيخ عبد العزيز .

و فرقوا بين العدل القانوني والعدل الاجتماعي بقولهم إن العدل القانوني منصوص عليه في القوانين الوضعية ، و إن العدل الاجتماعي هو تعاون أفراد المجتمع على تقديم خدماتهم للصالح العام . و لعل هذا التعريف أقرب ما يكون إلى عبارة العدالة الاجتماعية لأن هذه العدالة تفترض وجود كيان اجتماعي ترابط أفراده فيما بينها بواجبات الأخوة والانسانية – و يترتب على هذه الأفراد القيام بداعم الاحسان و البر و الرفق بواجبات نحو المجتمع و من هنا نرى أن أفراد الأسرة الوحدة يجب أن يعملوا بالعدالة الاجتماعية ، و كذلك أفراد الأمة الواحدة ، بل الأمم جميعها فيما بينها ، وهذا معنى (التراحم) . و هو أيضاً واجب ملقى على الأمم الغنية لمساعدة الأمم الفقيرة في هذا العالم الإنساني ، و هذا سر ربط العدالة بالمجتمع بقوله إنها العدالة الاجتماعية وعرفوا العدل *Justiu* بأنه إعطاء كل ذي حق حقه بحسب القانون أو الشريعة ، و قالوا إن العدل مبني على الحقوق و ليس أن الحقوق مبنية على العدل ، و الحقوق هذه مبادئ أولية . والموالاة لهذه الحقوق والمحافظة عليها – فضيلة العدل . فالعدل هنا ليس بالضرورة – حكم الضمير و لا الشعور بواجب

هو المعنى بقوله تبارك و تعالى : « إن الله يأمر بالعدل و الاحسان » ، فإن العدل هو المساواة في المكافأة إن خيراً خيراً و إن شرآً فشرآً . و الاحسان أن يقابل الخير بأكثر منه و الشر بأقل منه . و عرف المحرجاني العدل بقوله إنه الوسط بين طرق الإفراط و التفريط ، و قال عن العدالة إنها الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب عمما هو محظوظ .

و لا أجد في هذه الأقوال ما يعطينا المعنى الحقيقي الذي قصده الشيخ عبد العزيز بكلمة العدالة . و في الاستعمال الفقهى الأولي وخاصة الانكليزى كلمتان *أولاًهما Justiu* و *ثانية Equity* و المعنيان فيها متقاربان ، إلا أن المعنى في الثانية له زيادة على المعنى في الأولى . و ذلك لأن هذا المعنى يشمل الاعتبارات الأخلاقية و الانسانية بصورة غير مقيدة ، كما يشتمل أيضاً الحرية في التأويل و التفسير لنصوص القوانين و المفهومات القانونية . و لذلك فإن أقرب معنى لما يريد الشیخ عبد العزيز هو *Equity* من ناحية القانون الانكليزى و معنى « الاحسان » في عرف المسلمين ، وإن كان ما يريد الشیخ عبد العزيز أعم من ذلك – لأن العدالة عنده تشمل العدل و الاحسان و البر بالناس ، و تشمل العدل و الاحسان و البر بالناس ، وتشمل أيضاً مسئولة ملقة على الفرد يحاسبه عليها ضميره ، و واجب مفروض عليه بحكم كونه عضواً في مجتمع إنساني ، و هذا سر ربط العدالة بالمجتمع بقوله إنها العدالة الاجتماعية .

وعندنا العدل *Justiu* بأنه إعطاء كل ذي حق حقه بحسب القانون أو الشريعة ، و قالوا إن العدل مبني على الحقوق و ليس أن الحقوق مبنية على العدل ، و الحقوق هذه مبادئ أولية . والموالاة لهذه الحقوق والمحافظة عليها – فضيلة العدل . فالعدل هنا ليس بالضرورة – حكم الضمير و لا الشعور بواجب

الى في سبيل الخير ؟ و قد يبرر البعض هذا العمل بأن الغاية منه شريطة ، و الغاية تبرر الواسطة . و لكن ألا يوجد في هذا التبرير إجحاف بالمجتمع لأنه يشجع من جهة على جرم السرقة فيختل بذلك النظام الاجتماعي ، والنظام الاجتماعي أخرى بأن يحافظ عليه ، و لهذا أصبح من الضروري أن تكون العدالة عدالة اجتماعية أى يقوم بتحديدها المجتمع كله ، كالدولة مثلا ، لأن المجتمع أصلح لرفاهية الأمور من باب أوسع و نطاق أفسح ، ولا يخشي مع المجتمع أن تغلب المصلحة الفردية على المصلحة العامة ، والمصلحة العامة مفصلة في الإسلام على المصلحة الخاصة . ومن هنا كانت قوانين مساعدة الفقير ، ومعالجة المرضى بجانبها ، و إعطاء معاشات التقاعد للسنين ، و إيجاد مساكن للعجزة و ما إلى ذلك . و من هنا أيضاً كان قيام عصبة الأمم السابعة و منظمة الأمم المتحدة في الوقت الحاضر . و منه أيضاً عقد مؤتمرات النفط و مؤتمرات المواد الخام ربط العلاقة بين المنتج و المستهلك لأنه ليس من العدالة الاجتماعية بين الأمم أن تسرق دولة خيرات دولة أخرى دون تعويض مناسب . و زوال الاستعمار الذي هو استعباد للإنسان – صورة من العدالة الاجتماعية .

و في الإسلام مراحل مهمة لفكرة العدالة أو العدالة الاجتماعية ، أولها: البر والاحسان ، و الثانية : العدل ، أو العدالة نحو الآخرين ، و الثالثة: التقوى . و من التقوى في رأيي مراعاة مصلحة الجماعة لأن أي عمل لابد وأن يؤثر في الشخص المعامل له ، ثم في المجتمع الذي يعيش هذا الشخص فيه . فالبر بالإنسان و الإحسان إليه من عمل الدين و من واجب المؤمن ، ولكن مثلما أن الإنسان قد يندفع بدافع الشفقة والرحمة إلى عمل يراه هو حفلاً لاسعاف مريض أو إغاثة محتاج كأن يسرق مثلاً لاطعام مريض ، فاحكم هذه السرقة قتل في سبيل الله ، وأن يضم إليه أولادها وأيتامها ، بقصد العدالة الاجتماعية

و أكبر الحركات لاقرار العدالة الاجتماعية في الأمة في أوروبا بدأت في القرن التاسع عشر حيناً جرى وضع القوانين التي تعنى بالعمال و الفقراء والمعتوهين و المرضى و ما إلى ذلك ، و دولة الصلاح العام نتيجة لهذه الحركات ، والاسلام سبق في جميع ذلك ، فقد دعا إلى التراحم بين أفراد جماعة المسلمين، و حض على واجب المجتمع نحو الأفراد ، و ما يذكر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه - أنه رأى رجلاً عاجزاً يستعطى في إحدى طرق المدينة ، فسأل عنه فقيل له إنه عاجز ولا يقدر على كسب عيشه : فقال عمر : إفرضوا له شيئاً من بيت المال و كانت حجة عمر أن هذا الرجل كان يدفع ما عليه و هو قادر ، و لا يجوز أن تخلي الجماعة عنه و هو عاجز ، و هذا مثال واضح من أمثلة العدالة الاجتماعية التي لابد من الشعور بها بالمسؤولية لمصلحة الغير، و رأيت في كتاب الحيوان للدميري أن الوليد بن عبد الملك أعطى لكل مقعد خادماً يخدمه و أعطى لكل أعمى قائداً يهديه السبيل ، و أنه لم يرض للناس أن يسألوا و يستعطوا . و هذا من أبدع الأمثلة على العدالة الاجتماعية التي لم تعرفها أوروبا إلا في القرنين الأخيرين .

ولكن هذه العدالة صادرة عن الدولة ، والعدالة الاجتماعية التي يقصدها الشيخ عبد العزيز هي العدالة التي يشعر بوجوبها الأفراد، من ذات أنفسهم ، دون إكراه من جماعة أو دولة . و هي أسمى العدالات ، كما لا يخفي ، لأنها صادرة عن إيمان صادق و حب صحيح للبر والاحسان ، و لكنها في الوقت نفسه صعبة التحقيق ، لأن الأفراد قد يختلفون في تقديرهم للعدالة و من ذلك مثلاً أن الإنسان قد يندفع بدافع الشفقة والرحمة إلى عمل يراه هو حفلاً لاسعاف مريض أو إغاثة محتاج كأن يسرق مثلاً لاطعام مريض ، فاحكم هذه السرقة [٧٢]

ربك للتقين ، الآية ٣٥ من سورة الزخرف ، ثم ما شرفهم به تبارك و تعالى من معية الحياة : « واقوا الله و اعلموا أن الله مع المتقين » ، الآية ١٩٤ من سورة البقرة ، وفي العدل دنو من النقوى حيث يقول سبحانه : « اعدوا هو أقرب للقوى و اتقوا الله » ، الآية ٨ من سورة المائدة ، وفي العفو قرب إلى النقوى أيضاً حيث يقول جل شأنه : « و أنت تعفو أقرب للقوى » الآية ٢٣٧ من سورة البقرة .

و لعل الشيخ عبد العزيز يكتب لنا بحثاً عن علاقة العدالة الاجتماعية بالقوى ، و ذلك لأن مبدأ النقوى في الإسلام من أعظم المبادئ التي يجب أن نوليها أشد الاهتمام .

و قبل اختتام هذا المقال أريد أن أشير إلى أمر تاريجي مهم قد يكون فيه - بالإضافة إلى ما تقدم - الحكمة من إباحة تعدد الزوجات ، فات الإسلام دين غير منحصر في نفسه بل هو في الأصل دين العالمين و صالح الجميع و على المسلمين تبليغ الدعوة و نشرها خداية الناس و الأمم ، وقد كان لمهمة تبليغ الدعوة التباس بقضية تاريجية و هي توسيع الدولة الإسلامية . وكان لزاماً على المسلمين والعرب بحكم الدافع التاريجي أن يفتحوا بلاداً جديدة و يحكموا شعوباً غريبة عنهم ، فكيف كان ل المؤمنين العرب أن يحكموا هذه الشعوب و هم قلة بالنسبة إليها ؟ و كيف يتمنى لهم الاطمئنان على حكمهم إذا لم يكونوا من الكثرة بحيث يستطيعون التغلب على كثرة غيرهم من أعدائهم ؟ فكان للتلدد أثره في تكثير عدد العرب و المسلمين بصورة متزايدة ، و في صياغة السكاكان العربي ، و في عدم انصرافه في بوتفقة الشعوب الغربية ، و كذلك كان لحرريم زواج المسلمة بغير المسلم - دوره في هذا الميدان ، فالتعدد إذن في

البعث الإسلامي

و مساواة المرأة بزوجها و أبنائها بأولاده فاتق الله سبحانه في ذلك ما استطاع و هنا يأتي دور النقوى و هو دور يمتنع فيه الإنسان - حتى في عمل الخير - من الفساد و الاحتيال ، والنقوى أيضاً خوف الله من سوء النية . و مفهوم القوى خاص بالاسلام من الأصل ، حتى إن ابن ميمون اليهودي استعمل المعنى ولكنه ترجمه إلى خوف الله ، واستعمله المصاحي الديني البروتستانتي « شيلر ماخر » ، وقال عنه أنه الخشوع لله . وكلها أخذ معنى النقوى من الناحية الفردية ، مع العلم بأن النقوى هي وقاية الفرد والمجتمع من كل ما يسمى إليه و يضره ، قال سبحانه : « و إذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم و ما خلفكم لكم ترحون » الآية ٤٥ من سورة يس ، والنقوى أيضاً دعوة ملحة لاصلاح ذات البين حيث يقول جل شأنه : « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم و اتقوا الله » الآية ١٠ من سورة الحجرات ، ويقول سبحانه أيضاً : « فاتقوا الله و أصلحوا ذاتيكم و أطبعوا الله و رسوله » الآية الأولى من سورة الأفال ، و تقوى الله كذلك خشيته و الارعاء من بطشه ، و هي جماع الرسالات السماوية و ذرورتها ، وفي هذا المعنى يقول سبحانه : « و لله ما في الأرض و ما في الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله » الآية ١٣١ من سورة النساء ، و حسبها منزلة و مكانة عند الله ما جاء في الآية ١٣ من سورة الحجرات مخاطباً بها عباده المؤمنين : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، و أيضاً : « إن أولياؤه إلا المتقون » الآية ٣٤ من سورة الأفال ، و حسبهم كذلك ما خصمهم به سبحانه من حب في الآية ٧٦ من سورة آل عمران : « يلي من أوفي به عهده و اتق فان الله يحب المتقين » ثم ما هيأ لهم من منازل الآخرة كما في قوله عز من قائل : « والآخرة عند

الرّعوة الْإِسْلَامِيَّةُ

عهود الفتح الاسلامي ، كان عاملاً مهماً في نجاح المسلمين وسيطرتهم على البلاد التي فتحوها .

و في التاريخ مثل مهم على ذلك و هو أن الأسبان ما كانوا يستطيعون فتح البلاد الأمريكية لو لم يمارسوا تعدد الزوجات ، فأن الفاتحين الأسبان القادمين من أسبانيا لم يكونوا من الكثرة بحيث يستطيعون حكم تلك البلاد الشاسعة ، و لم يكثروا إلا في بعض المدن فقط . و لذلك عمد الأسبان إلى تعدد الزوجات و إلى الزواج بالسرارى ، وكان للرجل الأسباني زوجات يزيد عددهن على العشر أو الثانية عشرة أو المائة أحياناً و كانت الكنيسة تغض النظر عن ذلك بل كانت تعمد الأولاد من هذا الزواج و تعطيهم أسماء إسبانية و يصبحون بذلك أسبانياً . ولو لا ذلك لما استطاع الأسبان صبغ البلاد الأمريكية بالصبغة الإسبانية ولما استطاعت إسبانيا إخاق تلك البلاد بها و تعليمها اللغة الإسبانية و مثل هذا ساعد في صبغ مناطق الشرق الأوسط و غيرها بالصبغة العربية الاسلامية ، غير أنه لا يفوتنا ذكر أن الاستقرار الاسلامي في البلاد التي فتحها قد قام على أساس من التسامح والعدالة والعلم والحضارة النابعة من كتاب الله سبحانه و تعاليم رسوله ﷺ .

ولنا عودة إلى هذا في مناسبة أخرى – إن شاء الله .



لما ارتفع بتوافق الله من هذا المقام تراجع عن رأيه ، يقول الشيخ المجدد : « وإن كان شيخي الحواجة باقٌ بالله قائماً على نظرية وحدة الوجود كما تظاهر من رسائله ، و لكن الله سبحانه و تعالى قد أخرجه من هذه النظرية و رفعه عن هذا المقام بلطفه و عنائه الكاملة إلى الصراط المستقيم و أنجاه من هذا الضيق ، يروى عنه الشيخ عبد الحق الذي كان من محبيه والمحاصرين له أن الشيخ باق بالله قال قبل وفاته بأسبوع : إنني عرفت بعين اليقين أن وحدة الوجود طريق ضيق ، أما الآن فحصل لي يقين آخر و هو أن الطريق غير هذا » ، يقول في نفس هذه الرسالة : « و أنا أيضاً كنت على نظرية وحدة الوجود لأجل سيدى و تجلت لي كثير من المقدمات الكشفية تأييداً لهذا الطريق ، و لكن عناء الله جل و علا أخذت يدي و شرفتني بعده بمقام أحبه هو » (١) إنه يتحدث في إحدى رسائله ردآ على سؤال عما إذا كان يمكن وجود الخطأ في العقل و العلوم الروحانية .

سؤال : إن العقل في حدود ذاته وإن كان نافقاً في فهم أسرار الأحكام الإلهية ، ولكنه لماذا لا يستطيع بعد التزكية و التصفية أن يقترب إلى الله تعالى بطريق مباشر بحيث يتلقى الأحكام الإلهية من الله تبارك و تعالى من غير حاجة إلى نبي يبعث ، ويصل بالله تعالى عن طريق الملك الذي يكون واسطة بينه و بين الله تعالى ، وهذا السؤال تعبير كامل عن مذهب الاشراق ، فلنقرأ جوابه على لسان شيخه الحواجة باق بالله و عن نفسه بأنهما كانوا يومنماز بنظرية وحدة الوجود أولاً و كانت نظرتهما مؤيدة بالمقدمات الكشفية و الدلائل القاطعة ، و لكنه

(١) أيضاً : ج ١ مكتوب رقم ٤٣

٣

فضيلة الشيخ أبي الحسن على الحسيني الندوى
تعریف : الأستاذ شمس الحق الندوی

لا يعني على أهل العلم ما للشيخ محي الدين بن عربي من مكانة علياً في الكشف و الاشراق ، يكتب عنه إمام آخر صاحب الكشف والمكانة العليا في الريانة الشيخ أحمد السرهندي مجدد الألف الثاني في إحدى رسائله « من أجب الأمور أن الشيخ محي الدين بن عربي يعد من المقربين المقبولين عند الله و لكن أكثر علومه التي تختلف آراء أهل الحق يتجلّ فيها الخطأ و عدم الصواب » (١) .

و يقول الشيخ في مكان : « إن أكثر معارفه الكشفية التي هي بعيدة عن علوم أهل السنة يتعد عن الصواب أيضاً » .

يعرف الجميع بالخلاف الذي وجد بين الشيخ محي الدين ابن عربي ، و الشيخ مجدد الألف الثاني في مسألة وحدة الوجود و تحقيق كل منها يتسمى على أساس المشاهدة الشخصية و الكشف ، و قد كتب الشيخ المجدد عن شيخه الحواجة باق بالله و عن نفسه بأنهما كانوا يومنماز بنظرية وحدة الوجود أولاً و كانت نظرتهما مؤيدة بالمقدمات الكشفية و الدلائل القاطعة ، و لكنه

(١) المكتوبات ج ١ مكتوب رقم ٢٢٦ .

و لذلك كان يرى الإشراقيون في كشفهم و مشاهدتهم تأييداً لكثير من الأوهام المصرية و اليونانية وأخليتها ، كما كان يرى الإشراقيون المسلمين إلى كثير من افتراضات الفلسفة اليونانية كحقيقة ، لئنهم كانوا يشاهدون العقول ، وفي بعض الأحيان كانوا يحاورون العقل الأول و يصافحون .

ثم لو سلمنا قوة هذه الحاسة كلياً ، فهناك سؤال آخر ، و هو ما هي محسوسات هذه الحاسة و ما هي الأشياء التي ندركها عن طريقها ، و لا شيء عنه أبداً .

غير أن يتأمل الإنسان في أسرار عالم الأرواح و عجائبها و يطير في أجواءها الواسعة بحرية ، و يكتشف عالم بأجمعه أمام حاسة جديدة من حواسه و يرى صوراً و ألواناً من ذلك العالم ، يقين بها قدرة الله و سعة هذا الكون ، و لكن كل ذلك لهو و لعب ، كما يقول الشيخ المجدد : « لم تكن الصور الحسية و أنوارها قليلة حتى يتمنى أحد صوراً غبية و أنوارها بوسيلة الرياضيات

و في بعض الأحيان يبدو أن العلوم التي أخذت بالتلقي الروحاني ، تنضم من غير قصد خلال التبليغ و الدعوة إلى القوى والحواس التي تشق الطريق نحو الأوهام و الخيال و ما إليها بمق翠ات مسلمة صادقة من حيث إنه

لا يمكن التمييز في ذلك الوقت بينها و بين هذه المقدمات ، و في حالة أخرى تتميز حيناً و لا تتميز حيناً آخر فلا جرم أن هذه العلوم باختلاطها مع تلك المقدمات تثير شكلاً من الكذب و تتجزى عن موضع الثقة .

وفي الحقيقة - كما تحدث الشيخ المجدد - أمّا قوّة من قوى الإنسان العقلية أو الروحانية لا تتجزى عن التأثيرات الخارجية و الحواس كلياً بل لابد من أن تتأثر مشاهداته و تحقيقاته بيئته و أفكاره و عقائده ، ومقدماته المسلمة عنده أو عند جماعته و قومه .

مهمًا اقترب العقل و اتصل بالله تعالى إلا أن علاقته بهذا الجسم المادي لا تزول بتاتاً و لا يستطيع أن يتجرد عنه تماماً فلا بد من حدوث الأوهام و الشبهات بصفة دائمة ، و لا تفارقه القوة المتخيلة و الشهوانية و الغضبية بأي حال ، و كذلك رذائل الطمع و الشره ترافقه بصفة مستمرة ، أضف إلى ذلك صفات السهو والنسيان والخطأ التي هي من لوازم النوع البشري ، لافتلك عنه أبداً .

ولذلك فإن العقل ليس موضع ثقة في قضية الأحكام الالهية التي إذا تلقاها لم تكن بنجوة عن موضع الشك و الارتياب و لا تفارقه شائبة النسيان و مظنة الخطأ بخلاف الملك الذي هو مصون عن جميع هذه الصفات البشرية و بعيد عن هذه الرذائل ، فلابد من أن يكون محفوظاً عن كل شائبة من شوائب الوهم و الخطأ و النسيان .

وفي بعض الأحيان يبدو أن العلوم التي أخذت بالتلقي الروحاني ، تنضم من غير قصد خلال التبليغ و الدعوة إلى القوى والحواس التي تشق الطريق نحو الأوهام و الخيال و ما إليها بمق翠ات مسلمة صادقة من حيث إنه لا يمكن التمييز في ذلك الوقت بينها و بين هذه المقدمات ، و في حالة أخرى تتميز حيناً و لا تتميز حيناً آخر فلا جرم أن هذه العلوم باختلاطها مع تلك المقدمات تثير شكلاً من الكذب و تتجزى عن موضع الثقة .

(١) المكتوبات ج ١ مكتب رقم ٢٠٩

التسلك بالاسلام حقا

هو سبب النصر في الدنيا و النجاة في الآخرة



سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد (الرياض)
الحمد لله وحده ، و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده ، و على
آله و أصحابه .

أما بعد ! فان الله سبحانه و تعالى إنما خلق الخلق ليعبد وحده لا شريك
له ، وأنزل كتبه و أرسل رسle للامر بذلك والدعوة إليه ، كما قال سبحانه :
، و ما خلقت الجن و الانس إلا ليعبدون ، و قال سبحانه : « يا أيها
الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم و الذين من قبلكم لعلكم تتفون » ، و قال عز
و جل : « كتاب أحكم آياته ثم فصلت من لدن حكيم خير أن لا تعبدوا
إلا الله ، إنني لكم منه نذير و بشير » ، و قال تعالى : « و لقد بعثنا في كل
أمة رسولا ، أن اعبدوا الله و اجتنبوا الطاغوت » الآية ، و قال سبحانه :
« و ما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا
فأعبدون » .

فهذه الآيات و أمثلها كلها تدل على أن الله عز وجل إنما خلق الثقلين
ليعبد وحده لا شريك له و أن ذلك هو الحكم في خلقها ، كما تدل على أنه
عز و جل إنما أنزل الكتاب و أرسل الرسل هذه الحكم نفسها ، و العبادة
هي الخصوص له و التزلل لعظمته بفعل ما أمر به و ترك ما نهى عنه عن إيمان

و الفلسفة ، إن العلم التفصيلي لمشيخة الخالق ، والنظام المعين لل الخليقة والأعمال ،
وراء إدراكم ، كأنه بعيد عن حدود العقل و الفاسفة .

و من أجل ذلك ما زال الاشرافيون متبعين في عصورهم أي نظام خلق
أو روحي ، و ما استطاعوا أن يبدعوا نظاماً دينياً إيجابياً أو سلبياً ، و مكانة
الشيخ العالية في الكشف و الاشراف في المسلمين يُعرف بها الجميع ويسلمونها
ولكنه مع ذلك كله كان يتبع المذهب الظاهر و لا يخفى على أحد حرصه
الشديد على اتباع السنة و العمل بالشريعة .

و قبل أن أذكر المصدر الأخير لحل هذه المسائل بالقطع و اليقين ،
الذى هو الوحي و الكتاب ، و وسائطهما الرسالة و النبوة ، أقدم أمامكم
صورة لهذه الحياة التي توجد باتباع النبي و العمل بتعاليمه ويقوم هذا العالم على
أساسه و مبادئه ، أريد أن أذكر تلك المدنیات ونظم الحياة التي قامت على
الحسابات و العقليات أو على أفكار الاشراف و نظرياته .

• يتبع ،



فلكن هذا تنفيزاً من الشرك وتحذيراً منه ، ويائناً لخسران أهله وسوء عاقبتهم .
و ترشد الآيات كلها إلى أن عبادة ما سواه باطلة ، وأن العبادة بحق الله وحده
و يؤيد ذلك صريحاً قوله عز و جل : « ذلك بأن الله هو الحق وأن
ما يدعون من دونه هو الباطل » الآية من سورة الحج .

و ذكر سبحانه في مواضع أخرى من كتابه أن من الحكمة في خلق
الحقيقة أن يعرف سبحانه بعلمه الشامل و قدرته الكاملة ، وأنه عز و جل
سيجزى عباده في الآخرة بأعمالهم ، كما قال عز و جل : « الله الذي خلق
سبعين سماوات و من الأرض مثمن يتنزل الأمر بيتهن لتعلموا أن الله على
كل شيء قادر ، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً » وقال تعالى :
« ألم حسب الذين اجترحوا السينات أن نجعلهم كالذين آمنوا و عملوا الصالحات
سواء سحياءهم و مماتهم ساء ما يحكمون ، و خلق الله السماوات والأرض بالحق
و لا يحيطوا به ، و كل نفس بما كسبت و هم لا يظلمون » .

فالواجب على كل ذي لب أن ينظر فيما خلق له ، وأن يحاسب نفسه
و يمجدها لله حتى يؤدي حقه و حق عباده ، و حتى يحذر ما نهاه الله عنه
إلا آخر لا برهان له به ، فاما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون .
فأبان سبحانه في هذه الآيات أنه المالك لكل شيء و أن العبادة حقه
ليفوز بالسعادة و العاقبة الحميدة في الدنيا و الآخرة ، و هذا العلم هو أفع
العلوم و أهمها و أفضلاها و أعظمها ، لأنه أساس العلة و زيادة ما جات به
الرسل عليهم الصلاة و السلام ، و خلاصة دعوتهم ، ولا يتم ذلك ولا يحصل
بها النجاة إلا بعد أن يضاف إلى الإيمان بالرسل - عليهم الصلاة و السلام -
و على رأسهم إمامهم وسيدهم و خاتمهم نبينا محمد عليه السلام ، و مقتضى هذا الإيمان
تصديقه عليه السلام في أخباره و طاعة أوامره و ترك نواهيه ، وأن لا يعبد الله
إلا به ، و أنه يوم القيمة ينكر عبادته إياه ، و يتبرأ منها ، و يعاديه عليها ،

به سبحانه و إيمان برسله و إخلاص له في العمل و تصديق بكل ما أخبر به
رسوله محمد عليه السلام ، و هذا هو أصل الدين وأساس العلة وهو معنى لا إله
إلا الله ، فإن معناها لا معبود حق إلا الله .

شيع العبادات من دعاء و خوف و رجاء و صلاة و صوم و ذبح
ونذر و غير ذلك يجب أن يكون لله وحده ، وأن لا يصرف من ذلك
شيء لسواء للآيات السابقات ، و قوله عز و جل : « و ما أمروا إلا
ليعبدوا الله مخلصين له الدين ، الآية ، و قوله عز و جل : « و أن المساجد
والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ، إن تدعوه لا يسمعوا دعائمكم
ولو سمعوا ما استجابوا لكم و يوم القيمة يكفرون بشركم و لا ينبعكم مثل
له فلا تدعوا مع الله أحداً » ، و قوله سبحانه : « ذلکم الله ربکم له الملك
و الذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ، إن تدعوه لا يسمعوا دعائمكم
و لو سمعوا ما استجابوا لكم و يوم القيمة يكفرون بشرکكم و لا ينبعكم مثل
له ، وقال تعالى : « و من أضل من يدعوا من دون الله من لا يستجيب
له إلى يوم القيمة و هم عن دعائهم غافلون ، و إذا حشر الناس كانوا لهم
أعداء و كانوا بعضاً منهم كافرين ، و قال عز و جل : « و من يدع مع الله
إلا آخر لا برهان له به ، فاما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون » .

فأبان سبحانه في هذه الآيات أنه المالك لكل شيء و أن العبادة حقه
لسيانه ، وأن جميع العبودين من دونه من أنبياء و أولياء و أصنام و أحجار
و أحجار وغيرهم لا يملكون شيئاً ولا يسمعون دعاء من دعائهم ، ولو سمعوا
دعائهم لم يستجيبوا له ، و أخير أن ذلك شرك به عز و جل ، ونبي الفلاح
عن أهله ، كما أخبر سبحانه أنه لا أضل من دعا غيره ، وأن ذلك المدعو
من دون الله لا يستجيب لداعيه إلى يوم القيمة ، و أنه غافل عن دعائه
إياه ، و أنه يوم القيمة ينكر عبادته إياه ، و يتبرأ منها ، و يعاديه عليها ،

و هذه الآيات تتضمن غاية التحذير و التنفيذ من الحكم بغير ما أنزل الله ، و ترشد الأمة حكومة و شعراً إلى أن الواجب على الجميع هو الحكم بما أنزل الله و الخضوع له و الرضا به ، و الحذر مما يخالفه ، كما تدل أوضاع دلالة على أن حكم الله سبحانه هو أحسن الأحكام وأعدلها ، وأن الحكم بغيره كفر وظلم وفسق و أنه هو حكم الجاهلية الذي جاء شرع الله بابطاله والنفي عنه ، و لاصلاح لاجتمعات و لا سعادة لها و لا أمن و لا استقرار إلا بأن يحكم قادتها شريعة الله وينفذوا حكمه في عباده وينخلصوا له القول والعمل و يفزوا عن حدوده التي حددها لعباده ، و بذلك يفوز الجميع بالنجاة و العز و يقفوا عند حدوده التي حددها لعباده ، و بذلك يفزوا الجميع بالنجاة و العز في الدنيا و الآخرة ، كما يفزوون بالنصر على الأعداء و السلامة من كيدهم و استعاده المجد السليب ، و العز الغابر ، كما قال سبحانه : يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم و يثبت أقدامكم ، و قال عز وجل : يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً و يكفر عنكم سلطانكم و يغفر لكم ، تحكيم القوانين الوضعية والآراء البشرية و يعلم به أن الواجب هو تحكيم شريعة الله في كل شيء ، و لا يكون العبد مسلماً إلا بالأمرين جميعاً ، كما قال الله عز وجل : ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها و لا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ، إنهم لن يغوا عنك من الله شيئاً ، و قال سبحانه :

و لما حذر سبحانه من اتخاذ الكفار بطانة من دون المؤمنين ، و أخبر أن الكفار لا يألفون المسلمين خبلاً وأنهم يودون عنهم قال بعد ذلك : وإن حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ، و قال تعالى : أفحكم الجاهلية يبغون و من أحسن من الله حكم لقوم يوقنون ، و قال عز وجل : و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ، و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ، و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ،

و هكذا كل أمة بعث الله إليها رسولاً ، لا يصح إسلامها و لا يتم إيمانها و لا تحصل لها السعادة و النجاة إلا بتوجيهها لله و إخلاص العبادة له عز وجل و متابعة رسولها عليه و عدم الخروج عن شريعته ، و هذا هو الإسلام الذي رضيه الله لعباده ، و أخبر أنه هو دينه كما في قوله عز وجل ، اليوم أكلت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام ديناً ، و قوله عز وجل : إن الدين عند الله الإسلام .

وبهذا يتضح لذوى البصائر أن أصل دين الاسلام و قاعدته أمران ، أحدهما : أن لا يعبد إلا الله وحده ، وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله . و الثاني : أن لا يعبد إلا بشريعة نبيه محمد عليه وآله و سلم ، فالأول يبطل جميع الآلهة المعبودة من دون الله و يعلم به أن المعبود بحق هو الله وحده ، و الثاني يبطل التعبد بالأراء و البدع التي أنزل الله بها من سلطان ، كما يتضح به بطلان تحكيم القوانين الوضعية والآراء البشرية و يعلم به أن الواجب هو تحكيم شريعة الله في كل شيء ، و لا يكون العبد مسلماً إلا بالأمرين جميعاً ، كما قال الله عز وجل : ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها و لا تتبع أهواء

الاسلامية لجدية بأن تعنى بهذا العلم وأن تستكتب فيه خواص الكتاب ونخبة حلة الاقلام حتى ينتشر ذلك بين الانماط و يعلمه الخاص و العام لعظم شأنه و شدة الضرورة إليه ، وما وقع بسبب الجهل به في غالب البلدان الاسلامية من الغلو في تعظيم القبور ، ولا سيما قبور من يسمونهم بالأولياء و اتخاذ المساجد عليها و صرف الكثير من العبادة لأهلها كالدعاء والاستغاثة والذبح و النذر و غير ذلك ، وما وقع أيضاً بسبب الجهل بهذا الأصل الأصيل في غالب البلاد الاسلامية من تحكم القوانين الوضعية والآراء البشرية ، والاعراض عن حكم الله و رسوله الذي هو أعدل الأحكام وأحسنها ..

فنسأله أن يرد المسلمين إليه رداً حميداً و أن يصلح فادتهم و أن يوفق الجميع للتمسك بشرعية الله و السير عليها و الحكم بها و التحاكم إليها و التسليم لذلك و الرضا به والحذر مما خالفه، إنه ول ذلك و القادر عليه، و صلى الله و سلم على عبده و رسوله نبينا محمد و آله و أصحابه و من سار على طريقه و اهتدى بهداه إلى يوم الدين .



في رياض الشعر والأدب

أمي يعلم الكتاب والحكمة

السيدة مهر النساء (حيدر آباد)

من معناه ولا أبين عن خواه من كلامه عليه السلام ،
و خطبه التي خطبها عليه السلام أكثر من مائة كما رواها المحدثون في كتبهم .
و يضيق اللسان عن وصفها الجميل و لكن علينا أن نستفيد منها ما استطعنا
و هنا اذكر منها خطبتين و هما الخطبة الأولى التي خطبها النبي عليه السلام بمكة
حين دعا قومه إلى الإسلام ، والأخرى خطبته في حجة الوداع حين استشهد
الناس على إبلاغه إليهم بما أرسل إليه ، و هما آيتان في الخطابة .

الخطبة الأولى

« صعد الجبل و نادى قومه يا معاشر قريش فلما اجتمعوا حوله فقال
بعد أن حمد الله و أثنى عليه : إن الرائد لا يكذب أهله و الله لو كذب
الناس ما كذبتم و لو غررت الناس ما غررتكم والله الذي لا إله إلا هو أنت
رسول الله عليه السلام إليكم حقاً و إلى الناس كافة و الله تموتون كما تتمرون و تتبعون
كما تستيقظون و لتحاسبين بما تعملون و لتجازن بالاحسان إحساناً و بالسوء
سوءاً و إنها للجنة أبداً أو النار أبداً و إنكم لأول من أنذر بين يدي عذاب
شديد »

و الله إن هذه الفصاحة معجزة أدبية جمع فيها قائلها الدعوة إلى الحق
و أوضح سبل السلام و أعلن بالتوحيد و الرسالة و أثبتت البعث بعد الموت
و الحساب و الجزاء إحساناً و سوءاً و بشر بالجنة و أنذر بالنار .
ابتداً بذكر الرائد أي الذي يعيث قومه ليبحث عن مكان صالح ينزلون
فيه و جعل نفسه بمنزلة الرائد لعدمهم أن الرائد لا يكذب أهله فكيف يكذب
حكمة و لم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة و شد بالتأييد والتوفيق ،
و لم يسمع الناس قط أعم نفعاً ولا أصدق لفظاً ولا أعدل وزناً ولا أجمل
مذهباً و لا أكرم طلباً و لا أحسن موقعاً و لا أسهل مخرجاً و لا أفصح

لما كانت العرب يفخرون بنسبتهم وفصاحتهم اتخذ الله رسوله من أشرف
العرب نبأ و أفصحهم لساناً ، و ألهمه من عنده حتى ما كان ينطق عن
الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، خطبه آية من آيات الله و ما أحد يقارن
فصاحته و بلاغة كلامه فنطوقه يزيد في ميراث اللغة و يرفع قدر الأدب .
يشهد ببراعته عليه السلام جوامع كلام الشهيرة كقوله : « مات حتف أنفه » ،
« الآن حمى الوطيس » ، « هدنة على دخن ، يا خيل الله اركبي » ، و كقوله
يوم بدر : « هذا يوم له ما بعده » و كقوله لحادي النساء : « رويدك رفقاً
بالقوانين » .

و إنما أسللت له الألفاظ و اتسعت له المعاني فلم يند عن لسانه لفظ
و لم يضطرب في أسلوبه عبارة و لم يعزب عن علمه لغة ولم ينس عن خاطره
فذكر ، فكان كلامه كما قال فيه الجاحظ :

« الكلام الذي قل عدد حروفه و كثير عدد معانيه و جل عن الصنعة
ونزه عن التكلف ، استعمل المبسوط في موضع البسط و المقصور في موضع
القصر و هجر الغريب الوحشي و رغب عن الهجين السوق فلم ينطق إلا عن
حكمه و لم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة و شد بالتأييد والتوفيق ،
و لم يسمع الناس قط أعم نفعاً ولا أصدق لفظاً ولا أعدل وزناً ولا أجمل
مذهباً و لا أكرم طلباً و لا أحسن موقعاً و لا أسهل مخرجاً و لا أفصح

لا أدرى لعل لا ألقاكم بعد عالمي هذا في موقفي هذا أيها الناس ! إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهرك هذا في بلدكم هذا ، ألا هل بلغت — اللهم أشهد .

فمن كانت عنده أمانة فليؤودها إلى من اتمنه عليها و إن ربا الجاهلية موضوع و إن أول ربا ابدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب و إن دماء الجاهلية موضوعة و إن أول دم ابدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب و إن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة و السقاية .

أيها الناس ! إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه ولكنه قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك ما تقدرون من أعمالكم ، أيها الناس فاتقوا الله عبث يؤودى إلى الخذلان في الدنيا و الآخرة و كل هذا يحصل بمجرد العقيدة الجاهل و العالم سواه ولا يخفى على أحد أن هذه العقيدة أهمية لأنها هي العقيدة الأساسية المبنى عليها النظام الإسلامي الاجتماعي فهي تحرس المسلمين عن كل

حياة ثم موت ثم بعث حديث خراقة يا أم عمرو فالرسول الأمي العربي عليه السلام أوضححقيقة هذه العقيدة بإضاحته كاملا و شبه الحياة بعد الموت باليقظة بعد النوم ، و كلهم يعرفون بأن النوم موته صغرى و الموت نومة كبيرة فأفهمهم بأسلوب رائع حتى يستطيع أن يفهمه الجاهل و العالم سواه ولا يخفى على أحد أن هذه العقيدة أهمية لأنها هي العقيدة الأساسية المبنى عليها النظام الإسلامي الاجتماعي فهي تحرس المسلمين عن كل عبث يؤودى إلى الخذلان في الدنيا و الآخرة و كل هذا يحصل بمجرد العقيدة بالبعث بعد الموت فإن هذه العقيدة تصلح الإنسان .

و أما خطبته بمحجة الوداع فهي تذكر بما أبلغ الرسول الأمين خاتم الأنبياء و المرسلين إلى الذين لحقوا به ، واستشهادهم يوم القيمة بإبلاغ رسالته التي ذكر فيها أمميات المسائل و أمرهم بالإبلاغ إلى الذين لم يلحقوا به حيث قال فليبلغ الشاهد الغائب وبذلك فليعمل العاملون كي يفوزوا فوزاً عظيماً ، ويصدق الوعد الذي وعده به أحكم الحاكمين فقال « وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » ، في جبل الرحمة في حجة الوداع

قام خطيباً فقال : « الحمد لله نحمده و نستعينه و نستغفره و نتوب إليه و نعود بالله من شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا من يهدى الله فلامض له و من يضلله فلا هادي له ، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمدًا عبده و رسوله . أوصيكم عباد الله و أحتكم على طاعته و استفتح بالذى هو خير ، أما بعد ! أيها الناس اسمعوا مني أين لكم فاني

أيها الناس ! إنما المؤمنون إخوة فلا يحل لأمرىء مال أخيه إلا عن

طيب نفس منه ، ألا هل بلغت — اللهم أشهد — فلا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقباب بعض إنى تركت فيكم ما إن أخدتم به لم تضلووا بعده

كتاب الله ، ألا هل بلغت — اللهم أشهد .

أيها الناس ! إن ربكم واحد و إن أباكم واحد كلكم من آدم و آدم من

تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتفوى .

ألا هل بلغت — اللهم أشهد ، قالوا نعم قال :

ألا هل بلغت — اللهم أشهد ، ورحمة الله وبركاته .

ألا فليبلغ الشاهد الغائب و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته .

هذا خطاب بديع من الرسول العربي الهاشمي عليه السلام ما أبلغ أسلوبه وما أوضح

بيانه يرسم في القلوب كالنقش في الحجر وما أجمل أسلوبه فبعد كل سؤال عن

أداء رسالته يستشهد الناس ثم يقول اللهم أشهد أنى بلغت رسالتك وهم شاهدون .

رسائل من القلب

[إنها رسالة سماحة الشيخ ابراهيم نياس شيخ الاسلام في سينغال ، وعضو رابطة العالم الاسلامي بعثة المكرمة سابقاً ، وكم كان حريضاً على الحضور في المهرجان ، و لكن الأجل لم يمهله ، و حالت المنيّة دون تحقق هذه الأمانة ، و رسالته الرقيقة هذه إنما هي تعبير صادق عن عواطفه الصادقة التي كان يكنها في قلبه الكبير نحو ندوة العلماء وأمينها العام سماحة الشيخ أبي الحسن على الحسني الندوى]

الحمد لله ، و الصلاة و السلام على رسول الله .

صاحب السماحة الأستاذ السيد أبي الحسن على الحسني الندوى الأمين العام لندوة العلماء ، المحترم :

و عليكم السلام و رحمة الله و بركاته

و بعد ا فقد وصلني كتابكم الكريم رقم ١٢٢٤ المزدوج ٥-١٩-٥٩٥
فقال : « و لكم في القصاص حياة يا أولى الآلاب » ، و بدأ في هذا الأمر
أيضاً بوضع دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، و حذر الناس
من كيد الشيطان فإنه عدو مبين و أمر بتقوى الله في النساء و التوصية بهن
خيراً و أعن باخاء المؤمنين فيما بينهم ، و حرمأخذ مال المسلم إلا عن طيب
نفسه ، و أمر المسلمين بأن يتمسكوا بالقرآن و قال إن تصلوا ما تمسكتم به ،
ثم هدم عصبية الجاهلية كل المهد حيث قال إن ربكم واحد و إن أباكم واحد
كلكم لآدم و آدم من تراب ، و ليس لعرب على عجمي فضل إلا بالتقوى ،
وبعد كل سؤال استشهد الحاضرين فلما قالوا : « نعم » قال : « اللهم اشهد »
و في الختام جعل تبليغ الحق ، واجباً على كل مسلم و مسلمة ، فقال : « فلينبلغ
الشاهد الغائب ، وسلم عليهم و طلب لهم الرحمة من عند الله المنان ، فعلينا أن
نظر في خطبه البليغة و ندرسها درساً فانها لا شك منارة تنير أقصى العالم
و أدناه و قد صح ما قيل إنها آيات الأدب الباهرة .

بسم الله الرحمن الرحيم

١٣٩٥-١١-١٥

حضره صاحب السماحة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوى
الأمين العام لندوة العلماء لكتابتو - الهند

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلح وأسلم على عبده ورسوله سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه ، ثم أخبر سماحتكم بأنني قد وصلت إلى الرياض بخير بعد
أن حضرت المهرجان التعليمي لندوتكم المباركة وإننيأشكر سماحتكم على ما
لقيته من إكرام مادي ومعنوي كما يسرني أن أبدى إعجابي بالمستوى المشرف
الذى كان عليه المهرجان إعداداً وتنظيماً وتنفيذاً والذى يدل على إخلاص
القائمين عليه وتفانيهم في حمل رسالة الإسلام و الدعوة إليه بجزاكم الله
و عموم الأخوة العاملين في المهرجان خيراً على ما قدمتم و زادكم من فضله
ورزقكم شكر نعمه .

وإن ما أحببتي كثيراً حسن اختيار مواضع الندوات و الملاقات النادرة
في إدارة دفة المهرجان و الأفكار التي توقدت خلاله وحسن اختيار المدعويين
حيث كان المهرجان فرصة طيبة للقاء بنخبة من الدعاة و العاملين للإسلام .
أكرر شكري لسماحتكم و إخوانكم وسائل الله أن يثبتكم على ما أنتم

عليه من خير و يشيك على ذلك أجزل التواب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
أخوك في الله

الأمين العام للدعوة الإسلامية

محمد بن ناصر العبودي

العلمية الإقليمية و الدولية زينة و ركائز وهيبة فانما هي قبل كل شئ في اشراقة
الربانية وفي وجود وشهادة الربانيين الذين «آمنوا بالله ورسوله ثم لم يتابوا ،
وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ...» «الذين إذا ذكر الله وجلت
قلوبهم ، وإذا تابت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتكلون » ... فهنيئاً لكم
ال توفيق ورعاية الحق سبحانه .

هذا وإن شاكراً لكم تذكركم باستدعائكم لشاركتكم في المهرجان التعليمي العام
الذى تعزز ندوة العلماء بالهند تنظيمه بمناسبة انتهاء خمس وثمانين سنة على بدء
نشاطها التربوى الاسلامى العظيم ، و لقد تقبلت الدعوة ، كا أكبرت الفكرة
وأعجبت بالمعنى الجيد .

و ندوة العلماء بالهند في الواقع - تحظى بتقدير جميع المعزين بالدعوة
الاسلامية في هذا القرن ، والذين يعرفون أهميةدور الكبیر المنظر من حملة
الدعوة في هذا العصر العصیب ، و ما تتطلبه رسالة العلماء خصوصاً من أصالة
و تعمق و التزام ، وفي هذا المجال لا يمكن مطلقاً تجاهل الانجازات الكبيرة
التي حققتها مؤسستكم العلمية (ندوة العلماء) و ناهيك بفضيلتكم أمارة نجاح
و توفيق لندوة العلماء ، فاما حركة أحببت مثلكم علماء و عملاً وجهاداً وربانية
وصلحاً و لام الله إنما هي حركة ناجحة متوفقة ، وإن يدى في يدكم لنعمـل معاً
لرعاية المهرجان ، و لخدمة الإسلام و دعورته بكل ما أوتينا من قوة و طاقة
و إمكانات .

و تقبلوا فائق الاحترام من أخيكم المحب لكم :

إبراهيم نياس الكولخى

الله فصدقهم ، و إذا استرسلت في الحديث عنه فاني معدور فقد ذكرنا بكل فيه
و كنه عهوداً وأحفالاً وأياماً من أيام الله بمصر طيب الله ثراها و سق
ذكراها ، و أعادها ، وشفى بها صدور قوم مؤمنين .

لقد كان موضوع المؤتمر والغاية التي اجتمع من
أجلها أجل غاية وأعظم ما تحتاج إليه البشرية و لا أقول الأمة الإسلامية ،
إن مخنة البشرية اليوم في سوء التربية و ضلال الغاية و فساد الهدف

وقد ابتنينا في كل بلد بنفر من المسلمين الذين يحسبون أن بناء الأمم وإصلاح
المجتمعات كبناء الدور و إصلاح السيارات يتم بأدوات وآلات مادية فراحوا
يعالجون الحال الذي أدخلوه على الحياة بفساد أنفسهم ، يعالجونه بالتشريعات
و القرارات وما دروا أن المخنة في الضمير الذي سيارس التنفيذ ولكن أن لهم
أن يدرؤوا و لا ضمير عندهم فلذلك لم تزد بهم الحياة إلا ضيقاً و فتوقاً .

وعملية التربية مشوار طويل وشئ بطيء ثقيل لا يطيقونه لأنهم يفقدونه
و لذلك راحوا يعتصفون طريق الإصلاح و التغيير بالتقدير و التدمير وهبات
هيئات ، فان الله لا يغير ما يقوم حتى يغيرة ما بأنفسهم . و مناهج التعليم
الحالية في جميع بلاد المسلمين أو أكثرها مناهج علم و ثقافة لا تربية و هي
مناهج علم و ثقافة في أحسن الظن بها و التجوز فيها ، ولكنها على الأطلاق
ليست مناهج تربية لأنها تخلو تماماً أو تكاد من مواد التربية التي تباشر النفس
الإنسانية ، فترفق من وجدتها و تعالج من آثاريتها و انحرافها و تقييمها على
جادة الكمالات الإنسانية ، وحتى دروس الدين مادة غير أساسية عند الكثيرين

يتولاه من لا يحسنها وأحياناً من لا يؤمن بها وغالباً ما يبعد بها إلى مدرسي
اللغة العربية فيحولونها إلى مادتهم ولبس اللغة العربية و آدابها تدرس فيختارها
النهاية إليه صفة الصفو ، وتولاه رجال نذروا للإسلام أنفسهم ، وصدقوا

[و هذه رسالة من فضيلة الشيخ الجليل عبد العزز عبد الستار رئيس تفتيس
العلوم الشرعية بوزارة التربية والتعليم في قطر ، بعثها إلى مدير تحرير المجلة
بعد عودته من المهرجان و المساهمة في اجراماته و برامجه ، و هي بمحاجب
تبيرها الصادق عن عواطف الحب والاخلاص والولاء العميق لندوة العلماء
وأمينها العام سماحة الشيخ الندوى تلقى ضوءاً على وجهة نظر أصلية وآراء مديدة
عن التربية والتعليم وما تواجهه من أوضاع وعقبات في العالم المعاصر اليوم]
« التحرير »

حضره الأخ الكريم الأستاذ سعيد الأعظمي حفظه الله و سدد خطاه .
السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

لقد كانت لحظات سعدنا فيها بكم و بداركم وبلاد أنجتكم وآيات أجراها
الله على أيديكم ، رأينا فيها كيف يشر الصدق و الاخلاص و التجرد ، ولقد
كنا نسمع عنكم ونقرأ فوجدنا الخبر أعظم من الخبر ، وصدق السمع البصر .
و نسأل الله أن يزيدكم ثباتاً في الخير و عزيمة على الرشد .

و ما أسفنا على شيء أكثر من مرور هذه اللحظات سريعاً كالحلم ،
و كنا نمني النفس بها أن تبل شوقها . و تتزود زادها ، وأن سيخلو لنا الوجه
(الحسن) فتفتبس من نوره و نشقق من عبيره ، و لكن أخلفتنا الظنون
و الأقدار ، و حرمنا و لا ندرى كيف حرمنا من قبلة الوداع ، ومن دعوة
ما كان أشد حاجتنا إليها ، و نحن نعاني فراق أبي الحسن و دار العلوم وجامعة
التدوين .

لهذا المؤمر لكان ملائكة الرحمن هي التي كانت تديره وتسيره وتحضره
و تحرسه و ماله لا يكون كذلك ، وقد اجتمع على أشرف غاية ، و أسرع
النهاية إليه صفة الصفو ، وتولاه رجال نذروا للإسلام أنفسهم ، وصدقوا

يختارون لها نقائض جرير و خمرات أبي نواس و حمّاقات أهل الجاهلية ، إلخ .

إن الموضوع الذي تبناء المؤتمر هو العلاج الحقيق لمحنة المسلمين والبشرية كلها التي لن يخرجها من ظلماتها غير الإسلام وغير أمة تؤمن به وتطبق تعاليمه و هو يحتاج إلى متابعة و جهاد متواصل و دراسة عميقة لمناهج وتطورها في البلاد الإسلامية و أعتقد أن الظروف اليوم ملائمة كل الملائمة بعد ما أفلست

المناهج المستوردة و لم تغرن عن أهلها شيئاً في تحقيق الأمن و السلام والسعادة وبعد ماتعرت وبدت سوءاتها في كل مكان ونزلت الثقة بها في أكثر ديار الإسلام .

وقد من الله عليكم فبدأتكم تجربة ناجحة بندوتكم وداركم وأبنائكم وما قدمنتم من خير للإسلام و المسلمين بجهود ذاتكم أغناكم الله بها عن خلقه ، يمكن أن يتأسى بها المربون و الموجهون ، وقد اطلعت على الكثير منها في مطبوعاتكم و رسائلكم الموقعة الناجحة ، و سرفني كذلك أنكم تتبعون القول العمل ، و النظري التطبيق دائماً فسرني إنشاء بمعجمكم العلمي الإسلامي للبحوث الذي أثمر ثماراً طيباً وأبلغاً بلاه حسناً على حداثة عهده وبداية وجوده .

و لقد واثنكم جميع المؤتمرين والوافدين فبالغتم وأجزلتكم وأحسنتم و أوفيتكم ، نسأل الله أن يحيزكم عنا جميعاً و عن الإسلام و المسلمين .

كما أرجو أن تبلغ عن مولانا الجليل و شيخنا الحبيب و نعمة الله على هذا الجيل أستاذنا العلامة السيد أبو الحسن الندوى ، أطيب تحياتنا جميعاً مع أخص تمنياتنا و دعائنا له أن يبارك الله حياته ويديم توفيقه ، و أن ينفع الأمة بعلمه و عمله و جهاده .

و تحياي للاخوة الذين سعدنا برؤيتهم ولم نسعد بالاجتماع بهم والحديث معهم ، حفظكم الله جميعاً و زودكم التقوى و جمعنا وإياكم على ما يحب ويرضى وصلى الله على سيدنا محمد وآلـه وصحبه وأوليائه ، والسلام عليكم ورحمة الله .

عبد المعز عبد السtar

٢ / ١٣٩٦ م